مصر فى
القصه الأردية القصيرة
(دراسة تحليلية نقدية)

إعداد

رهام عبدالله سلامة نصر

مدرس قسم اللغة الأردية وآدابها

كلية الدراسات الإنسانية

جامعة الأزهر

تمهيد:

مصر كنانة الله في أرضه وهي تقع مكان القلب في العالم، فإن مصر من قديم العصور وهي مهد جميع الأنبياء من إدريس إلى محمد ﷺ وقد وردت ٢٧ مرة في القرآن تلميحًا وتصريحًا.وسُميت" أم الدنيا" لدعاء نوح لأبنه "مصر بن بيصر بن حام " فقال "اللهم انه قد أجاب دعوتي فبارك فيه و في ذريته و أسكنه الأرض الطيبة المباركة التي هي أُم البلاد و غوث العباد التي نهرها أفضل أنهار الدنيا واجعل فيها أفضل البركات" وقال المؤرخ اليوناني هيرودوتوس "مصر هي هبة النيل" ومما لا شك فيه أن النيل هو أصل وجودها وهوالسبب في منح الروح والحياة لهذه الأرض الخصبة والتي أطلق عليها اسم "مصر" فيما بعد، ولكني أرى أن عظمة مصر نابعة من عظمة أهلها، فقد كانت أول أرضتقوم عليها حضارة من أعظم الحضارات الفرعونية القديمة والتي لا تزال آثارها شامخة تشهد على عظمة المصريين القدماء التي تحدت كل الصعاب وظلت صامدة في وجه الزمان وتقلباته[١] كما قال شاعر الشرق العلامة "محمد إقبال" في قصيدة بعنوان "ابرامِ مصر":

خود ابو الہول نے یہ نکتہ سکھایا مجھ کو — وہ ابو الہول کہ ہے صاحبِ اسرارِ قدیم

دفعۃً جس سے بدل جاتی ہے تقدیر امم — ہے وہ قوت کہ حریف اس کی نہیں عقل حکیم

ہر زمانے میں دگرگوں ہے طبیعت اس کی — کبھی شمشیر محمد ہے کبھی چوبِ کلیم[٢]

---

[١] ابن عبد الحكم، فتوح مصر وأهلها، ٢٥٧هـ/٨٧١م، تحقيق عبد المنعم عامر.

[٢] اقبال، ضرب كليم، كليات اقبال، شيخ غلام على اينڈسنز پبلشرز، لاہور، ١٩٧٧ء، ص ٦٠٦.

الترجمة:

لقد علمني أبو الهول نفسه هذا الأمر	ذلك الشاهد على أسرار الزمان
بأن القوة التي تتغير بها تقدير (مقدرات) الأمم دفعة واحدة	هي تلك القوة التي لا يحاربها عقل الحكيم
إنها قوة تتنوع طبيعتها في كل زمان	أحيانًا في شكل سيف محمد وأحيانًا في شكل عصا موسى

يعدّ فن القصة القصيرة من أحدث الفنون الأدبية الإبداعية حيث لا يتجاوز ميلادهقرنا ونصف قرن من الزمان، حتىإن الدارسين والنقاد يعتبرونه مولود هذا القرن؛ بل إنمصطلح "القصة الحديث "ادجار ألان بو الأمريكي"(*) و"جودى موباسان الفرنسي"(*)و"جوجول الروسى"(*) الذى يعدّه

(*)**إدجار آلان بو**:ولد إدغار بو في ١٩ يناير ١٨٠٩ - ٧ أكتوبر ١٨٤٩) وهو ناقد أدبي أمريكي مؤلف، وشاعر، ومحرر، ويعتبر جزءاً من الحركة الرومانسيةالأمريكية. اشتهرت حكاياتهبالإثارة و التشويق ، كان بو واحداً من أقدم الممارسين الأمريكيين في القصة القصيرة، للمزيد راجع:

إدغار_آلان_بو/https://ar.wikipedia.org/wiki

(*)**غي دو موباسان(١٨٩٣ -١٨٥٠) (Guy de Maupassant) :** كاتب وروائي فرنسي وأحد آباء القصة القصيرة الحديثة..درس موباسان القانون، والتحق بالجيش الفرنسي ثم عمل ككاتب في البحرية. وقابل جوستاف فلوبيرعن طريق صلات أسرته ليصبح فيما بعد تلميذه المخلص، وقد قدم فلوبير لتلميذه نظرية للنجاح الأدبي تتكون من ثلاثة أجزاء : لاحظ، لاحظ، ثم لاحظ.من أشهر قصصه" : كرة الشحم"، "بيير وجان"، بيل أميومن أهم قصصه القصيرة: " العقد"، "الآنسة فيفي". للمزيد راجع:

غي_دو_موباسان/https://ar.wikipedia.org/wiki

(*)**نيقولاي فاسيليفيتش جوجول**: ٣١مارس١٨٠٩ - موسكو، ٢١فبراير١٨٥٢ممن أكبر روائيين ومسرحيين الأدب الروسي. إتولد فى بولتافا حاليًا في اوكرانيا.بعتبر واحد من مؤسسي المدرسه الواقعيه في الأدب الروسي في القرن التاسع عشر. كان يكتب بإسلوب كوميدي ساخر. " أرواح ميته " (١٨٤٢) تعتبر أهم رواياته. للمزيد راجع:

=

النقاد أبا القصة الحديثة بكل تقنياتها ومظاهرها وفيه يقول "مكسيم جوركى"(*): "لقد خرجنا القصيرة" لم يتحدد كمفهوم أدبي إلا عام ١٩٣٣ في قاموس أكسفورد. وقد كان من أبرز المبدعين لهذا الفن من تحت معطف جوجول(١).

أما عن عالم الأدب الأردي فإن القصة القصيرة تعتبردعامة كبرى من دعائم الأدب الأردي الحديث وتشكل صنفًا من أهم أصناف هذا الأدب وقد شاعت كتابتها شيوعًا واسعًا حتى غدت في وقت وجيز من أهم أبوبه. فإنها صنفٌ أدبيٌ محبوبٌ ومؤثرٌ وتعتبر مرآة لأخلاق وعادات وتصورات ومفاهيم شعبها ولا يمكن أن ننكر أهميتها على مدى تاريخ البشرية مع اختلاف أشكالها(٢).

ولقد تطورت القصة القصيرة منذ ظهورها فيالأدب الأرديفي نهاية القرن التاسع عشر الميلاد يتطورًا ملحوظًا وكان الكتاب يميلون إلى الإطناب ووصف الأحداث بطريقة مستفيضة في البداية ولكن تغير هذا الأسلوب بمرور الوقت حتى ظهر في وقتنا الحالي ما يسمى بـ"الأقصوصة"، و يعتبر "نذير أحمد(١٨٣٦-١٩١٢)" و"راشد الخيري

نيقولاى_جوجول/https://arz.wikipedia.org/wiki

(*)**أليكسي مكسيموفيتش بيشكوف :** يعرف بمكسيم غوركي؛ (٢٨مارس١٨٦٨ ١٨ - يونيو١٩٣٦م)، أديب وناشط سياسي ماركسيروسي، مؤسس مدرسة الواقعية الاشتراكية التي تجسد النظرة الماركسيةللأدبحيث يرى أن الأدب مبني على النشاط الاقتصادي في نشأته ونموه وتطوره، وأنه يؤثر في المجتمع بقوته الخاصة، لذلك ينبغي توظيفه في خدمة المجتمع. للمزيد راجع:

مكسيم_غوركي/https://ar.wikipedia.org/wiki

(١) النساج: تطور القصة القصيرة فى مصر ص ٣٥ هامش ٨،٩/ مكتبة غريب ١٩٩٠

(٢)صغير افراہيم (پروفيسر)، اردو كا افسانوى ادب (تحقيقى اور تنقيدى مضامين)، ايجوكيشنل بك ہاوس، على گڑھ، ٢٠١٠ء، ص ١٤٠.

(١٨٦٨ -١٩٣٦) من أهم رواد القصة القصيرة[١]. تأثرت القصة الأردية القصيرة بالأدب الانجليزي ولاقت رواجًا كبيرًا عندما نُشرت ترجمات لقصص إنجليزية قصيرة في مجلة "اوده بنج" و"انتخاب لاجواب" وكان"سجاد حيدر يلدرم"هو أول من كتب القصة القصيرة الأردية والتي نشرت عام١٩٠١م بعنوان"نشہ کی ترنگ"[٢].

وقد تناولت في بحثي هذا "مصر" في القصة القصيرة الأردية والتياهتم الأدباء والشعراء الأردويون بها كثيرًا فكتبوا فيها شعرًا ونثرًا.

ويشتمل هذا البحث على أربع قصص متنوعة والعنصر المشترك في هذه القصص الأربع هي "مصر".

قمت بدراسة تفصيلية لقصتين وهما "شرم الحرم" للكاتب "إنتظار حسين"و قد استعنت بترجمة الاستاذ الكتور إبراهيم محمد إبراهيم و"ايک لوک کہانی میری زبانی"ل"جيلاني كامران" فحاولت من خلالهما أن أسير أغوارهما فنيًا ودلاليًا حتى أقدم صورة تفصيلية لاتجاهات القصة القصيرة التي تناولت جانبامن تاريخ مصر من خلال الأدب الأردي.

أما القصتان اللتان مررت عليهما سريعًا هما "غرق آل فرعون" (آل فرعون کےغرقابی) وهي من تأليف "مرتضى أحمد منصور"، و"بطاقة فارغة، قصة سائح أجنبي" (بلینك کارڈ، ایك اجنبی سیاح کےکہانی) ل"سليم أنور" نظرًا لبساطة المحتوى الدرامي والقصصي في القصتين وأيضًا فإن

---

[١] *عبادت بریلوی،افسانہ اور افسانے کی تنقید، ادارۂ ادب وتنقید ، لاہور* ١٩٨٦ ، ص١١.

[٢] انور سديد (د)، اردو ادب کی مختصر ترین تاريخ، مقتدره قومی زبان، اسلام آباد، ١٩٩٠ء، ص ٣٦٩.

المحتوى لم يتميز بالعمق الفني الكافى. القصة الأولى هي "آل فرعون كى غرقابى" (غرق آل فرعون) وهي عبارة عن قصة قرآنية وردت في أكثر من سورة في القرآن الكريم، وقد أطال الله تعالى في هذه القصة ما لم يطل في قصص غيره من الأنبياء لما فيها من دروس عظيمة يستفيد منها العلماء الربانيون والأئمة المصلحون والناس أجمعون. قام كاتب القصة بجمع أحداث هذه القصة من سور القرآن المختلفة وقام بتدوينها في قالب قصصي متناسق وجميل وهي ضمن كتاب يشملعددا كبيرامن قصص الأنبياء وهو تحت عنوان "الہامى افسانے" وحرص الكاتب على سرد القصة بطريقة أدبية مبينًا أن القصة القصيرة هي من أهم أصناف الأدب وأنها موجودة في القرآن الكريم بصورة بارزة[١] فقد أخبر الله بها في القرآن عن أحوال الأمم الماضية والنبوات السابقة والحوادث الواقعة، وقد اشتمل القرآن على كثير من وقائع الماضي، وتاريخ الأمم، وذكر البلاد والديار وتتبع آثار كل قوم، وحكى عنهم صورة ناطقة لما كانوا عليه وذلك لقوة تأثيرها في إصلاح القلوب والأعمال والأخلاقلا لمجرد سرد تاريخ الأمم أو الأشخاص، وإنما هي عبرة للناس وتبيانٌلسنن الله في خلقه مع الأقوام الذين كذبوا الرسل وكيف كانت عاقبة أمرهم الدمار والنكال[٢].

أما القصة الثانية فعنوانها "بلينك كارڈ، ايك اجنبى سياح كى كہانى" (بطاقة فارغة، قصة سائح أجنبي) لـ"سليم أنور"وهي قصة قصيرة تدور أحداثها على أرض مصرية وكتبها القاص أثناء زيارته لمصر في مايو

---

[١] مرتضى احمد منصور، ديباچہ- الہامىافسانے، ابلاغ پبليشرز، لاہور، ٢٠٠٠ء، ص٩.

[٢] إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، جـ١، ص ٣٩٠.

١٩٨١م واختار أن يكون البطل هنديًا والفتاة مصرية وربما يرجع اختيار الكاتب هذا،للإعجاب المتبادل بين الشعبين والإرث الثقافي الذي يربط بين الحضارتين الهندية والمصرية.

ولأن المقصود من هذه الدراسة هو رصد المحاور الأدبية والفنية وليس عرضا لأهم الموضوعات بشكل كمّي. فاخترت أن أقدم ترجمة هاتين القصتين بدون دراسة المحتوى من الناحية الأدبية أو الفنية.

ينقسم البحث إلى قسمين:

القسم الأول: يشتمل على دراسة لقصة "عار الحرم" (شرم الحرم) للكاتب "انتظار حسين" وقصة "حكاية أمة" (ايك لوك كهانى ميرى زبانى) للكاتب "جيلاني كامران". القسم الثاني: يشتمل على ترجمة كاملة لأربع قصص وهي:

- **غرق آل فرعون (آل فرعون كى غرقابى).**
- **بطاقة فارغة (قصة سائح) (بلينك كارڈ: ايك اجنبى سياح كى كهانى).**
- **عار الحرم (شرم الحرم).ترجمة الأستاذ الدكتور إبراهيم محمد إبراهيم**
- **حكاية أمة (ايك لوك كهانى ميرى زبانى).**

القسم الأول: الدراسة

- **أولاً: قصة "عار الحرم"**

(شرم الحرم).

- **ثانياً: قصة "حكاية أمة"**

(ايك لوك كهانى ميرى زبانى).

أولاً: قصة "عار الحرم" (شرم الحرم)
(دراسة فنية وأدبية)

يشتمل المبحث الأول من هذا البحث على دراسة أدبية وفنية لقصة رمزية بعنوان "عار الحرم" (شرم الحرم) للكاتب "انتظار حسين"[*] والذي تميزت قصصه بالطابع الرمزي وغير المباشر[١]، يوظف الكاتب في هذه القصة عدة مفاهيم ومصطلحات سواءً ما كان منها بشكل مباشر أو غير مباشر، ويتجلى البعد السياسي واضحًا جليًا في الفكرة العامة للقصة. ومن الواضح أيضًا أن هذا المتن القصصي يمثل مراحل تاريخية وفنية ونفسية وأيديولوجية ويعكس علاقة القاص بواقعه محليًا وعالميًا.

لقد اعتمد القاص في تكنيكه الفني عدة أساليب فنية مثل المونولوج[*] والديالوج، والفلاش باك، وتقاطع أو تداخل الحوار بين الشخصيات والسرد المستوعب للحدث، والعاطفة الجياشة المفعمة بمشاعر الود والإخلاص والحوار يضفي على النص الأدبي الحيوية والمتعة التي توجد في المسرح ويجعل النص الأدبي أو القصة كلها حركة مما يثير انتباه القراء ويجذبهم نحو

---

[*] انتظار حسين: أديب باكستاني برز في مجال القصة القصيرة. وُلِد سنة ١٩٢٥م بمنطقة ميرته، حصل على الليسانس من كلية ميرته، كما حصل على الماجستير في اللغة الأردية من جامعة البنجاب، ثم التحق بالعمل الصحفي، ونشر أول مجموعة قصصية سنة ١٩٥٣م. تميزت قصصه بالطابع الرمزي، وغلب عليها الطابع الخيالي حيث حصر نفسه في جو الأساطير والخرافات الشعبية، كما تنوال تغير الأوضاع في شبه القارة الهندية بعد التقسيم وما نتج من مشاكل، ومن مجموعاته القصصية (آخرى آدمى، خالى پنجره، شهر افسوس). أيضًا كتب انتظار حسين الرواية والتمثيلية الإذاعية أثناء عمله موظفًا في إذاعة الهند بلكهنو. تامر عماد علي عثمان، رواية "راجہ گدھ" (النسر) (دراسة تحليلية نقدية) رسالة ماجستير، قسم اللغات الشرقية، كلية الآداب، جامعة المنصورة، ص ١٥.

[١] پروفيسر صغير افراہيم، اردو كا افساانوى ادب (تحقيقى اور تنقيدى مضامين)، ايجوكيشنل بک ہاوس، على گڑھ، ٢٠١٠ء، .

[*] **المونولوج** أو **حديث النفس** أو **النّجوى** هو حوار يوجد في الروايات، ويكون قائما ما بين الشخصيةوذاتها أي ضميرها. بمعنى آخر هو الحوار مع النفس، يطلق على نوع من المسرح ومصدر الكلمة يوناني مونو يعني أحادي ولوجوس تعني خطاب.للمزيد راجع:

https://ar.wikipedia.org/wiki/مونولوج

متابعة قراءة القصة، كما يبعد بالسرد عن التقريرية والأسلوب الجاف، ويجعل القارئ أكثر قربًا من المواقف والأحداث[١]يكتب انتظار حسين:

"حرك "مصطفى فائق" الخريطة الموضوعة على المنضدة أمامهم، وقال وهو يضع أصبعه على نقطة فيها:

بيتي هنا في هذا المكان.

إنه على الحدود، هذا يعني أن بيتك ضاع"[٢].

وأول ما يقابلنا في القصة العنوان، وهو يعتمد على دلالتين متناقضتين في لفظي"عار" و"الحرم"، الأول بما يشيبه مِن خزي وهوان، والثاني بما يعبر عنه من دلالات القداسة والإجلال والإعظام والإكبار. ولعل القراءة الصحيحة – دلاليًا – للعنوان تساهم في بلورة الإيحاء والمفهوم الفني لمجمل الأحداث، ويقوم الإيحاءالمتناقض في لفظي"العار" و"الحرم" في كشف الصورة وينطلق من المقدس المهيمن في الشعور أو الوعي، ويتخطاه إلى اللاوعي الذي تجسد في الاستبطان النفسي المنتحب الحزين على لسان الشخصيات، وفي ثنايا السرد البلاغي.

• توقف "مصطفى فائق"، ثم ضغط على أسنانه قائلاً: "لا يمكن أن يضيع بيتي. لا يمكن أن يضيع؟!!

---

[١]سلام سنديلوى، ادب كا تنقيدى كا مطالعہ ، مكتبة ميرى لائبريرى ، لاہور ، ١٩٨٩ء، ص٨٦

[٢]انتظار حسين، شہرِ افسوس، شرم الحرم، سنگ ميل پبلى كيشنز، لاہور، ٢٠١١ء، ص٨٨.

ضحك "أمين وهو يقول: "لكنه ضاع فعلاً. أنتم العرب أسأتم لأنفسكم".

واحمر وجه "أمين" من الغضب. توقف عن الكتابة، ووضع القلم جانباً، ثم اتجه إلى "مصطفى فائق" مخاطباً قائلاً: "الإساءة كانت لنا جميعاً[1]".

الشخصيات:

أما عن البطل الرئيس في القصة؛ فإني لا أجد شخصية رئيسة فيها وإنما البطل هو الحدث أو الحكاية نفسها. والقصة القصيرة لا تحتمل الإسهاب في رسم شخصياتها بسبب قصرها ومحدوديةالزمان والمكان فيها وما يهمنا في العمل الأدبي هو طريقة رسم الشخصيات داخل هذا العمل، فالكاتب يرسم الشخصيات بناء على قناعاته الشخصية ووجهة نظره ولكنه في نفس الوقت مضطر لأن يجعل هذه الشخصيات تتحرك وتنمو حسب قناعاتها وتأثيرها في الواقع من حولها وتأثرها بهذا الواقع أيضًا ،وهذا ما برع فيه "انتظار حسين" في هذه القصة التي ليس فيها بطل رئيس ولكن لكل شخصية إسهاماتها في البناء الدرامي للقصة والحدث والحوار

---

[1] مصطفى فائق نے سامنے میز پر پڑے ہوئے نقشے کو سامنے سرکایا، انگلی لکھ کر کہا: "میرا گھر اس جگہ ہے".
"یہ تو سرحد پر ہے اس کا مطلب یہ ہے کہ تمہارا گھر تو گیا"۔
مصطفی فائق رکا، پھر دانت چبا کر بولا: "میرا گھر نہیں جا سکتا"۔
"نہیں جا سکتا"۔ وہ ہیں: "مگر وہ تو چلا گیا" رکا پھر بولا: "تم عربوں نے بہت رسوائی کرائی ہے"۔

والحكاية التي جاءت بلغة محكمة لا تحتمل الاستطراد أو التزيد وهو ناتج عن تصرفات الشخصية التي تؤثر في الحدث وتتأثر به[١].

الأسلوب الفنـي:

إن القصة القصيرة تتناول قطاعا عريضًا من الحياة، تحاول إضاءة جوانبه، أو تعالج لحظة وموقفًا تستشف أغوارهما، تاركة أثرًا واحدًاأو انطباعًا محددًا في نفس القارئ، وهذا يتم من خلال الوسائل الفنية التي تعتمدها القصة القصيرة في بنائها العام، والتي تعد فيها الوحدة الفنية شرطًاضروريًا[٢]، ففي القصة توجد علاقة عضوية وثيقة بين المضمون القصصي والبناء الفني الذي يتخذه الأديب أداة فاعلة للتواصل مع القارئ وتوصيل المضمون إليه، فيجب على الأديب أن يكون واعيًا بأدوات التشكيل الفني وأسراره وتوظيفها، وأن يكون قادرًا على إعادة خلقها للتعبير بها عن رؤيته وموقفه وطبيعة موضوعاته ومضامينه[٣].

إن الأسلوب الفني لقصة "عار الحرم" يتناغم مع الحدث الذي يهيمن ويسيطر على كل السطور وعلى البناء الدرامي لهذا العمل، والمفردة الرئيسة التي يعتمد عليها "انتظار حسين" في رصد ملامح الأسى والحزن، ليس ضياع المقدسات أو التفريط فيها – فحسب – وإنما انهزام الإنسان العربي.

---

[١]محمد أيوب، الحوار المتمدن، عدد ١٠٦٠، ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٤.
[٢]وفاء الهزلول،البناء الفني في القصة القصية عند محمد الشقحاء، جامعة الملك سعود، الرياض ،ط١، ٢٠١٤م، ص٧.
[٣]وسمية الشوبكة، التراث والبناء الفني في أعمال محمد جبريل، الهيئة العامة لقصور الثقافة،ط١، ٢٠٠٥، ص٣٠٧.

"ترى أية إذاعة هذه؟! اللغة هي العربية، ولكن من هذا الذي يتحدث؟! وماذا يقول؟! وانحنى فوق المذياع يحاول الاستماع، لكن ذهنه شرد وتشتت مثلما تشتت مؤشر المذياع. سقطت "أورشليم"... سقطت "أورشليم"... يا ابن الصباح الرائع، لماذا وقعت من السماء!! تلك القرية التي كانت تزدحم بالخلائق صارت كالأرملة، تلك التي كانت الكبري بين الشعوب، والملكة بين الأقاليم، صارت تدفع المكوس"[١].

وهنا يثير الموقف الفني للكاتب إشكالية يجب تناولها بحيادية وإنصاف، وهي: هل المسئول عن ضياع بيت المقدس هم العرب فقط أم أن المسئولية مشتركة بين المسلمين جميعًا!؟

التوظيف المكاني:

ثمة ملامح نفسية لعامل "المكان" تشكلت من خلال العلاقة النفسية بين الأديب والمكان،فقد ارتبط الأديب "إنسانيًا" بالمكان وتفاعل معه في واقع نفسي متعدد الأبعاد و الألوان[٢].لقد وردت أسماء عدد من المدن في ثنايا القصة مثل "عمان" و"دمشق" و"القاهرة" و"أورشليم" و"شرم الشيخ"، ناهيك عن أماكن أخرى لها في الشعور الإنساني عامة والإسلامي خاصة دلالات معينة مثل حائط المبكي أو هيكل سليمان الذي هو جزء لا يتجزأ من المسجد الأقصى، ويهدف الكاتب من وراء ذلك إلى إثارة الوجدان

---

[١] "یہ کون سا اسٹیشن ہے- زبان تو عربی ہے، مگر کون کیا کہہ رہا ہے- وہ ریڈیو پر جھک گیا. پروشلم فال ہوگیا. پروشلم گر پڑا. ائے صبح کے شاندار فرزند! تو کیوں کر آسمان سے گر پڑا. وہ بستی جو خلائق سے بھری تھی بیوہ کی مانند ہوگئی. وہ جو قوموں کے درمیان بزرگ اور صوبوں کی پیچ ملکہ تھی، خراج گزار ہوگئی- شرم الحرم ،ص٩٩ .

[٢] غاستون باشلار،جماليلت المكان،ترجمة و تحقيق:غالب هلسا،ط،١،ص٤٧.

والشعور الإسلامي لتخليص هذه البقعة وتحريرهامن أيدي الصهاينة التي لوثتها بالعار، وانتهكتحرماتها وقدسيتها.

- **"واليوم كيف رحل بكل هدوء حتى دون أن يسمع إذاعة "القاهرة""[١].**
- **"كم من الإذاعات في قبضة هذا المؤشر الصغير ولكن أين إذاعة عمان"[٢].**
- **"إلى أين نذهب؟!! إلى "طشقند"[٣*]. وما "طشقند"؟؟ ما طشقند"؟!! " "طشقند"، "سمرقند"، "زهرخند"، "كوسفند""[٤].**

ويلمح الكاتب أيضًا أن الوطن العربي كله من أقصاه إلى أقصاه مسئول مسئولية مباشرة عن هذا الهوان الذي يحيق بالمسجد والقدس.

والتوظيف المكاني جاء متناغمًا مع إطار الأحداث وأيضًا مع العنوان، وإن كان العنوان أتى جامعًا لكل ما يحتمل أن يكون مقدسًا وهذا يشمل الأماكن المقدسة كلها (المكي والمدني والأقصى) لكن الحرم القدسي يكتسب بعدًا سياسيًا مختلفًا عن كل المقدسات الإسلامية.

---

(١) "آج وہ کتنی خاموشی سے چلاگیا. قاہرہ ریڈیو سنے بغیر".

(٢) "دنیاکے کتنے اسٹیشناسی ننھی سی سوئی کی زد میں ہیں، مگر عماں کہاں ہے؟" القصة ص١٠٠.

(*)طشقند هى عاصمة اوزبكستان وسمرقند من أشهر مدنها. أما "زهرخند" تعنى "الضحكة المسمومة" و"كوسفند" تعنى الخروف في الفارسية، والمقصود هنا ليس المعنى الحرفي وإنما هما لفظين مهملين على وزن "طشقند" الابراز حالة الاحباط واليأس.

(٤) "ہم کس طرف جاتے ہیں؟
"تاشقند کی طرف".
"تاشقند کیا؟... تاشقند کیا؟"
"تاشقند، سمرقند، زہرخندہ، گوسفند"، شرم الحرم، ص ١٠٠.

يكتب "انتظار حسين":

"كان وراءنا سور، وأمامنا حائط العدو، والمعركة حامية الوطيس، وفي هذه الفوضى صعد واحد إلى قمة تل ونادى: أيها الغافلون.... سقطت "عمان"، فهتفت: لكني قائم. فنادى ثانية: سقطت "دمشق"، وصرخت أنا: لكني قائم. ثم هتف بأعلى صوته: سقط "بيت المقدس". عندئذ انتحبت قائلاً: لقد سقطت أنا. ورأيت بعيني المعذبتين "بيت المقدس" وهو يسقط، والناس يتساقطون، ويتطايرون، مثلما يتطاير القش في دوامات الهواء"[١].

ولهذا نقول إن الكاتب وهو يتناول أحداث القصة كان واعيًا مدركًا للأماكن التي ذكرها، وانطلق من هذا الوعي ليجسد المأساة الإسلامية التي تتجلى واضحة في بيت المقدس وهى مأساة نسج معناها هذا الجندي المضرّج بالدماء دائمًا في كل ظهور في القصة لينفي عن الجنود تهمة التواطؤ أو الخنوع ويومئ إلى كون المأساة سياسية أكثر منها عسكرية.

[١] ہمارے عقب میں فصیل تھی اور سامنے دشمن کی دیوار تھی- معرکہ سخت تھا. اس ہنگام میں ایک عدو ٹیلے پر چڑھا اور پکارا کہ اے غافلو! عمان ڈھے گیا. میں نے نعرہ مارا کہ میں قائم ہوں، پھر اس نے صدا دی کہ دمشق ڈھے گیا میں نے للکارا کہ میں قائم ہوں، پھر اس نے منادی کی کہ قاہرہ ڈھے گیا. میں چلایا کہ میں قائم ہوں، پھر اس نے نعرہ مارا کہ بیت المقدس ڈھے گیا. تب میں نے زادی کی اور کہا کہ میں ڈھے گیا ہوں اور میں نے اپنی گنہ گار آنکھوں س انتظار حسین ے دیکھا کہ بیت المقدس ڈھے رہا ہے اور آدمی اسے بکھر رہے ہیں جیسے تیز جھکڑ میں بھوسا بکھرتا ہے .انتظار حسین،شرم الحرم، ص١٠١، ١٠٢ .

يكتب الكاتب" "قال الجندي ذو الوجه المحترق والزي الغارق في الدماء: إن من قتلوا أفضل ممن بقوا أحياء أذلاء، ومت أنا. وما أن قال هذا حتى تمدد ومات"[١].

وفي موضع آخر في القصة يتحدث الكاتب على لسان الجندي: "لقد سمعت خبر سقوط "عمان" و"دمشق" و"القاهرة"، لكني ظللت حيًّا، ثم سمعت خبر سقوط "بيت المقدس" فسقطت أنا ورأيت شباب العرب في أزقة وحواري بيت المقدس متساقطين كالفراش المبثوث، وظللت حيًّا، ورأيت حرائر العرب ذليلات، بملابس ممزقة، وشعر أشعث أغبر، وظللت حيًّا، وصرخت قائلاً: يا ابنة بيت المقدس، تمنطقي بالخشن ونوحي، فأبناؤك غرقى في دمائهم، وعذاريك أذلاء في كل حارة، في تلك اللحظة رأيت ابنة بيت المقدس وقد انتهكت حرمتها، عندئذ أغمضت عيني المعذبتين، وسقطت ومت. وأغلق الجندي ذو الوجه المحترق والزي المخضب بالدماء عينيه ثم سقط ومات[٢].

---

(١) "جھلسے چہرے خونم خون وردی والے سپاہی نے کہا: " جو مارے گئے وہ اچھے رہے بہ نسبت ان کے جو زندہ رہے اور ذلیل ہوئے اور میں مرگیا" یہ کہہ کہ وہ دراز ہوا اور مرگیا. القصة ص ١٠٣.

(٢) "میں نے عمان، دمشق اور قاہرہ کے ڈھے جانے کی خبریں سنیں اور زندہ رہا، پھر میں نے بیت المقدس کے گلی کوچوں میں عرب جوانوں کو یوں پڑے دیکھا اور ٹھنڈے پتنگے پھیلے بکھرے پڑے ہیں- میں نے عرب جوانوں کو پتنگوں کی مثال پھیلے دیکھا اور زندہ رہا اور میں پکارا کہ اے بیت المقدس کی بیٹی! کمر پہ ٹاٹ باندھ اور بین کر کہ تیرے فرزند خاک وخون میں غلطان ہوئے اور تیری کنواریاں گلی گالی رسوا ہوئیں اس آن میں نے دیکھا کہ بیت المقدس کی بیٹی بے حرمت ہوئی ہے. تب میں نے اسی گنہ گار آنکھیں موند لیں. میں ڈھے گیا اور مرگیا". القصة ص١٠٧.

ونجد الكاتب يتهم السيوف التي لم تخرج من أغمادها، وإنما ظلت حبيسة بناء على عدم توافر الرغبة من السياسيين للقتال:"ثكلت "عبد الناصر" أمه، هل سيأمرنا أن نضع السيوف في أغمادها!؟

عندئذ انتحب الأعرابي الأول ذو اللحية البيضاء وقال:

"ثكلتنا أمنا نحن العرب جميعًا، فقد فقدت سيوفنا حدتها، وأعدناها نحن إلى أغمدتها"[١].

لقد وجدنا أيضًا شخصية "صلاح الدين الأيوبي" تَلَوح بين السطور عندما يقول "كنت حيًا عندما نهضت كدوامة الهواء، وعبرت أورشليم إلى أورشليم مثل العاصفة"[٢].

في هذا الأسلوب يحضر الكاتب صوت اللاوعي مستحضرًا لحظات مضيئة في التاريخ العربي والإسلامي ففيقوله "عبرت من أورشليم إلى أورشليم" دلالة على القوة والسهولة، إزاء هذا الموقف الذي يطل فيه الماضي ناصعًا وقويًا يدل على العزة والشموخ.

أما الحاضر فإنه يبدو عكس الماضي تمامًا ويبدو حاضر المدن التي ذكرها الكاتب ضعيفة، خانعة، مُسْتَلبَة وضائعة وتبين ذلك عندما بحث عن بعض هذه المدن على أثير المحطات الإذاعية، ولم يجدها فتطابق

---

(١) "عبد الناصر کی ماں عبد الناصر کی سوگ میں بیٹھے! کیا وہ ہم سے تلواریں نیام میں ڈالنے کو کہے گا" تب صاحب ریش اعرابی نے زاری کی اور کہا کہ" ہم سب عربوں کی مائیں ہمارے سب کے سوگ میں بیٹھیں کہ تلواریں ہماری کند ہوگئیں اور ہم نے انھیں نیاموں میں؟ القصة ص١٠٦.

(٢) "میں زندہ تھا، جب میں بگولے کی مثال اُٹھا اور آندھی کی مثال اٹھا اور آندھی کی طرح یروشلم کو عبور کر کے یروشلم میں گیا" القصة ص١٠٧.

الأسلوب المباشر مع الإيحاء الذي عبر عنه الأديب وهو أن هذه المدن كلها سقطت:

"أية إذاعة هذه التي ضبطت المؤشر عليها؟!

لا أعرف أية محطة إذاعية هذه، من يدري، ربما إذاعة "عمان" وربما "القاهرة" وربما "بغداد""[1].

ويعمق القاص من مأساة حكايته عندما يرى أن الإنسان الذي يعيش في هذه المدن قد سقط أيضًا قبل أن تسقط مدينته، فالكاتبيعبر من خلال ذلك كله عن أن الانهيار كان شاملاً، لم يكن فقط ضعف المدن هو السبب في سقوط القدس، وإنما ضياع هوية الإنسان المسلم والعربي الذي تتقاذفه الأمواج والأهواء والخلافات المذهبية والعرقية والطائفية ليندد من وراء ذلك كله بالحال التي وصلت إليه هذه الأمة؛ أمة الإسلام.

توظيف النص القرآني:

إن توظيف النص التراثي وخاصَة القرآنيفي الأدب يخرج النص من سكونه و تركيبته التقليدية ويكسبه دلالة معاصرة،تخرجه من إطاره التراثي الساكن وتجعله نصًا متحركًا متعدد الدلالة[2] وهذا ما اتبعه إنتظار حسين في هذه القصة والتييتبدى تأثير القرآن الكريم فيها واضحًا: إما صراحة أو ضمنًا، وإما مباشرة أو بكيفية غير مباشرة، عن طريق استدعاء شخصياته

---

[1] "یہ تم نے کونسا اسٹیشن لگا رکھا ہے، پتا نہیں کون سا اسٹیشن ہے- کیا خبر ہے عمان ہی ہو یا شاید قاہرہ ہو یا شاید بغداد ہو".ص١٠٥

[2] مراد عبد الرحمن مبروك، العناصر التراثية فى الرواية العربية فى مصر، دراسة نقدية. ١٩٨٦. دار المعرف، ط١، القاهرة، ص١٣٢، ١٤٥.

الدينية المقدسة ورموزه وتضمين آياته وسوره وأفكاره. ترددت أكثر من مرة بعض آيات القرآن الكريم في ثنايا القصة وتارة تأتي نصًا في سياق حدث بعينه، كما هو الحال مع سورة القارعة التي ذكرت مرتين في القصة:

في المرة الأولى عندما وجدها تصبح معادلاً موضوعيًا رمزيًا للأحداث التي تحيط بالإنسان مثل سقوط القدس وخضوع الإنسان العربي.

يكتب انتظار حسين:

"فلما سمع الإعرابي هذا الكلام انفجر باكيًا، وخلع عمامته، وألقى بها على التراب، ثم صرخ: ﴿الْقَارِعَةُ (١) مَا الْقَارِعَةُ (٢) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ (٣) يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ﴾[*1].كانت عينا الجندي ذي الوجه المحترق والزي المخصب بالدماء جافة، تحدث قائلاً: "أيها الشيخ، كان ذلك اليوم هو اليوم الذي أخبرنا به ربي وربك، لقد رأيت الرجال بعيني وقد صاروا كالعهن المنفوش، الملقون كأعواد الذرة اليابسة، والأطفال تهشموا كأوان طينية هشة"[٢].

كان التوظيف جليًا وواضحًا على مستوى الحدث عندما رددها هذا الرجل الذي يقوم في القصة بدور الحكيم، لقد انطلق لسانه يرددها عندما سمع بسقوط القدس في يد اليهود، والكاتب من خلال توظيف هذا النص

---

[*] القرآن الكريم سورة القارعة.

[٢] سفید ریش اعرابی نے یہ سن کر گریہ کیا، عمامہ اُتار کر خاک پر پھینکا اور پکارا: "القارعة ما القارعة. وما أدراك ما القارعة. يوم يكون الناس كالفراش المبثوث" جھلسے چہرے خونم خون وردی والے سپاہی کی آنکھیں خشک تھیں اور وہ یوں گویا ہوا کہ "اے بزرگ! وہی وہ دن تھا جس کی تیرے اور میرے رب نے خبر دی تھی- میں نے اپنی آنکھوں سے دیکھا کہ آدمی ایسے ہوگئے تھے جیسے پھیلے ہوئے ٹھنڈے ہوجانے والے پتنگے ہوتے ہیں، جو ان ککڑیوں کی مانند کاٹے گئے- بچے مٹی کے بنے پتلے کوزوں کی مثال توڑے گئے".ص١٠٢

القرآني في هذا المكان من القصة يقول إن القيامة قد قامت، فهذا الحدث من علامات الساعة عنده، وهذاالتوظيففيه مبالغة فنية.

أما المرة الثانية التي ذكر فيها الكاتب نفس هذه الآيات من سورة القارعة وعدة سور أخرى ورددها وهو يبكي وينتحب في نهايات القصة بعد ما تيقن وتأكد أن بيت المقدس أصبح _ واقعًا وحقيقة _ تحت سيطرة جيش الاحتلال الإسرائيلي ولم يجد مجابهة لهذا الواقع سوى البكاء، وهو واقع يشير إلى العجز والذلة التي تحيق بالإنسان العربي. يكتب "انتظار حسين":

"مرّ الأعرابي ذو اللحية البيضاء بيده على لحيته المبللة بالدموع، وأخذ ينادي: القارعة، ما القارعة، وما أدراك ما القارعة، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث"[(١)].

وفي تلك اللحظة وقف واحد من البربر، وكدوامة الهواء صعد أعلى التل، وهتف بأعلى صوته وهو يمسك بمقبض سيفه:

أقسم بالعاديات وبسنابكها التي تضرب الصخور فيتطاير منها الشرر[(٢*)] واقسم بذلك اليوم الذي تفقد فيه الحوامل من النوق كل قيمة

---

(١) "سفيد ريش اعرابى نے آنسوؤں ميں تر بوتى داڑهى پر ہاتھ پهيرا اور منادى كرنے لگا: "القارعه ما القارعه وما أدراك ما القارعه، يوم يكون الناس كالفراش المبثوث".ص١٠٨

(*)﴿وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحاً (١) فَالْمُورِيَاتِ قَدْحاً﴾، (سورة العاديات: الآية ١، ٢).

لها[*1]وحين تصير الجبال كالعهن المنفوش[*2]وحين تشتعل النار في البحار والأنهار[*3] لقد خرج سيفي من غمده، ولن يعود إليه أبدًا[٤].

التوظيف القصصي:

لقد سعى كتاب القصة القصيرة إلى استثمار العناصر التراثية الأدبية في البناء القصصي الحديث، و كان من أبرز الجوانب المستثمرة داخل العمل القصصي النصوص الأدبية من شعر وحكم،إضافة إلى التراث القصصيالذي يستفيد منه كتاب القصة القصيرة في البناء السردي وأسلوب القص ومادته الحكائية[٥].

ذكر أديبنا بعض الإيماءات القصصية البسيطة داخل القصة، وجاءت في إطار الحبكة الفنية التي حاول أن يخلعها على قصته،فقد جاءت قصة مريم العذراء لتعبر في أسلوب أخاذ ومحكم وموجز عن "أورشليم" (الدلالة، الرمز، التاريخ) يَشِع اسم العذراء على المعنى العام دلالة شعورية ووجدانية تعمق من حالة الحزن في الشعور الإنساني كله:

(*)﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ (١)وَإِذَا النُّجُومُ انكَدَرَتْ﴾، (سورة التكوير: الآية ١، ٢).

(*)اقتباس من سورة القارعة.

(*)﴿وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ (٦)﴾ (سورة التكوير: الآية ٦).

(٤)اس آن ایک بربر بگولے کی مثال اُتھا اور ٹیلے پرچڑھ کر قبضے پر ہاتھ رکھتے ہوئے نعرہ زن ہوا کہ قسم ہے سریٹ دوڑتے گھوڑوں کی! اور قسم ہے ان کے سموں کی جو پتھروں سے ٹکراتے ہیں اور چنگاریاں اُڑاتے ہیں! اور قسم ہے اس دن کی جب گیا بھن اونٹنیاں بیکار ہو جائیں گی اور جب پہاڑ دھنی ہوئی روئی کے مثال اڑتے پھریں گے اور جب دریاؤں اور سمندروں میں آگ لگ جائے گی! کہ میری تیغ نیام سے نکل آئی ہے. اور وہ نیام میں نہیں جائے گی".

(٥) جابر قميحة،التراث الإنسانى فى شعر أمل دنقل،القاهرة،دار هجر،١٩٨٧ ص١٣،١٤.

"رأيت حرائر "بيت المقدس" ناشرات شعورهن، ورؤوسهن تلامس الأرض انحناء. عندئذ ناديت وبقوة: يا ابنة بيت المقدس (مريم العذراء)، لقد أصاب العار عذاريك، أين أنت... ورأيت الباب المقدس ملقي على الأرض"[١].

ومن القصص الدينية التي دبجها الكاتب المتمكن "انتظار حسين" في قصته "عار الحرم" قصة المسيخ الدجال، والتي تداعت إلى ذهنه من خلال صورة الجنرال "موشيه ديان" وزير الدفاع الإسرائيلي إبان حروب إسرائيل مع العرب، والخيط الفني الذي يربط بين الاثنين خيط شكلي أكثر منه واقعيا، ولكن الكاتب أبصر هناك دلالات فنية عميقة لأن كليهما يخرج من الشامأحدهما يكسرالصليب، والآخر ينتهك محرمات بيت الأقصى، يكتب "انتظار":

"جاءنا من مصادر مؤكدة أن الجنرال "موشي ديان" زار "حائط المبكى" (حائط البراق) وهناك بكى هو هو والجيش الإسرائيلي.

- **هذا يعني احتلواْ المدينة كلها.**
- **نعم! وجاء "أمين" برزمة جرائد، وألقى بها فوق المنضدة، وقال وهو يجلس على الكرسي: يا أخي! إن الناس يقولون إن "موشي ديان" أصلاً هو "موسى الدجال"[٢].**

---

[١] "میں نے دیکھا کہ بیت المقدس کی کنواریوں نے بال کھولے ہیں اور سروں کو زمین تک جھکاتی ہیں. تب میں زور سے پکارا کہ اے بیت المقدس کی بیٹی! تیری کنواریاں رسوا ہوئیں، تو کہاں ہے؟ اور میں نے دیکھا کہ مقدس کا دروازہ گرا پڑا ہے" القصة ص١٠٢.

[٢] "موثق ذرائع سے معلوم ہوا ہے کہ جنرل دایان نے دیوار گریہ کو جا کر دیکھا- وہاں پہنچ کر اس نے اوراسرائیلی فوج نے گریہ گیا.

=

- **أبدع الكاتب في هذه القصة و في رسم شخصياتها وفي تقديم فكرته التي تحتاج إلى قراءة عميقة و غير تقليدية، حاولت من خلال هذا البحث دراسة القصة من كل جوانبها و الجدير بالذكر أن الكاتب تناول قضية العروبة و ضياع المقدسات ولم يذكر مصر ككيان مستقل وإنما تناولها كبلد عربي تتألم بالآم العرب و تحزن لضياع مقدساته.**

- تو گو یا شیر پر ان کا مکمل قبضہ ہے.
- ہاں! امین خبروں کا ایک نیا پلندہ لے کر آیا، میز پہ دے پٹکا اور کرسی پہ بیٹھتے ہوئے کہنے لگا" یار! لوگ کہتے ہیں کہ موشے دایان اصل میں موسی دجال ہے"، القصة ص١٠٣

ثانيًا: قصة "حكاية أمة"

(ايك لوك كہانى ميرى زبانى).

(دراسة فنية وأدبية)

حكاية أمة

إن العنوان هو نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية ورمزية أيقونية وهو كالنص لهأفق قد يصغر القارئ عن الصعود إليه ، وقد يتعالى هو عن النزول لأيقارئ، وسيميائيته تنبعمن كونه يجسد أعلى اقتصاد لغوي يمكن أن يوازي أعلى فاعلية تلقٍ ممكنة تغري الباحث والناقد بتتبع دلالاته، مستثمرًا ماتيسر من منجزات التأويل.وترجع أهمية العنوان إلي كونه يشكل لبنة أساسية من لبنات البناء الروائي، وعتبة رئيسة من عتبات النص الممتدة في نسيج الواقع والمتخيل، ومدخلاً مهما لولوج عالم النص الداخلي، وعنصرًا أوليًا فنيًا لابد منه للإيحاء بمحتوى النص الروائي بما يملك من أبعاد دلالية ورمزيةتدفع القارئ إلي تتبعها ومحاولة استنطاقها ومحاورتها، وكشف بنائها وفهم مراميها، فالعنوان يعد حلقة الوصل المهمة بين المرسل والمستقبل بما تثيره في نفس القارئ من رغبة في قراءة النص، والتوغل في كنهه، وإعادة إنتاجه من جديد[1]. وأول ما يلفت الانتباه في هذه القصة هو العنوان "قصة أُمة على لساني" إذ يهيئ هذا العنوان القارئ لما سيأتي من أحداث تداخل فيها الواقع مع الحقيقة والتاريخ مع المستقبل ولئن افتقدت القصة إلى بعض العناصر الفنية التي تقوم عليها أي قصة أدبية، فإننا نرى فيها بعض المقومات الفنية الأخرى منها:

[1] سمية الشوبكة، التراث والبناء الفني في أعمال محمد جبريل، الهيئة العامة لقصور الثقافة،ط١، ٢٠٠٥، ص٣٠٧

(١) عنصر الزمان

افتتح الكاتب هذا العنصر بتاريخ زمني محدد وهو عام ١٩٥٦م والذي يذكرنا بالعدوان الثلاثي على مصر:

"ذات يوم في يوليو ١٩٥٦م... دخلت صاحبة اللوكاندة الغرفة وهي متوترة، ولا تكاد تلتقط أنفاسها ويبدو عليها آثار الحزن البالغ"[١].

ويتسع مفهوم الزمن عند الكاتب ليشمل الواقع المعاصر إذ تنتهي الأحداث الزمنية عنده في اللحظة التي انتهت فيها القصة وخلال هذه المساحة الزمنية يرصد الكاتب عدة أحداث مثل تأميم قناة السويس وغضب الغرب تجاه هذا القرار الجريء والقمم العربية المنعقدة في القاهرة وفي غيرها من المدن في العالم العربي ووقف تصدير النفط لأمريكا وأوروبا.. كلها جاءت في تسلسل زمني أنيق يخدم الفكرة الرئيسة لهذه القصة الوثائقية.

يطرح القاص من خلال هذا العمل عدة تساؤلات؛ هل طبيعة العلاقة بين الشرق والغرب وحقيقة نظرة الأوروبيين للعالم العربي والإسلامي مبنية على نهب الثروات فقط؟ ويجب أن نأخذ بعين الاعتبار ملمحًا أساسيًا في هذه الحقبة الزمنية وهو طبيعة هذه الفترة، ومن الممكن أن نطرح هذا الملمح بصيغة سؤال هكذا: لماذا بدأ الأديب قصته بهذا

---

(١) "ایک روز جولائی ١٩٥٦ء میں ... لینڈ لیڈی گھبرائی ہوئی کمرے میں داخل ہوئی اس کا سانس پھولا ہوا تھا اور ایسا لگتا تھا جیسے اُسے کوئی بڑا دکھ ہے".چیلانی کامران، ادب کے مخفی اشارے، ابلاغ پبلشرز، ٢٠٠٢ء.

التاريخ تحديدًا وتسلسلت الأحداث الزمنية بتواريخ لها في المدلول الذهني والجمعي العربي والإسلامي آثار وآثار وتمدد الزمن مع المكان ليأتلفا في إنتاج رؤية فنية متكاملة.

(٢) عنصر المكان

لا يُراد بكلمة المكان في القصة أو الرواية «دلالتها الجغرافية المحدودة، المرتبطة بمساحةمحدودة من الأرض في منطقة ما، وإنما يُراد بها دلالتها الرحبة التي تتسع لتشمل البيئة وأرضها، وناسها، وأحداثها، وهمومها وتطلعاتها، وتقاليدها، وقيمها. فالمكان بهذا المفهوم كيان زاخر بالحياة والحركة، يؤثر ويتأثَّر، ويتفاعل مع حركة الشخصيات وأفكارها كما يتفاعل مع الكاتب الروائيذاته»[٢].تعددت الأماكن وتنوعت في القصة حيث بدأت في لندن ولكن الأحداث والوقائع جرت على عدة أراض ومدن مثل لندن والكويت والقاهرة كما ورد ذكر أشخاص من أجناس مختلفة مثل الشخصية الإيطالية "بيبتو" وشخصية العالم العراقي مثل الدكتور "حماد يوسف" وشخصية المفكر التونسي مثل الدكتور "عبد الكريم الواصف" وشخصية الباحثة الأمريكية "فلورنس جودهوب" واشتبكت المدن الشرقية الإسلامية في صراع وجودي وحضاري مع المدن الغربية ولقد أخذ هذا الصراع أشكالاً ووجوهًا عدة مثل التدخل العسكري سواءً كان بين دولة عربية وأخرى كما حدث مع العراق والكويت.

"بدأت القوات العراقية في إلقاء القنابل على الكويت دون أدنى اعتراض منها لفظ "محمد شفيق" أنفاسه الأخيرة

[٢]عبد الفتاح عثمان(د)، بناء الرواية، مكتبة الشباب، القاهرة،١٩٨٢م، ٥٩.

أثناء أول هجمة للقوات العراقية في غرفة شبه مظلمة وتم دفنه في الكويت بعد تصريح من القوات العراقية.

حينها كتب هارون لصديقه:

"العصفورة الذهبية" (الخليج) أصبحت ضيفة لبضعة أيام عندما حملنا "محمد شفيق" لخارج الغرفة استجوبتنا القوات العراقية (الجنود العراقيين) كثيراً وعندما صرحوا لنا بذلك قمنا بدفنه دون كفن"[1].

صراع مذموم بين شقيقة وأخرى.. بين دول إسلامية ينبغي أن تكون وحدة واحدة موحدة.. ذاك الصراع الذيأخذه الغرب ذريعة للدخول إلى العالم العربي للاستيلاء على خيراته ولذلك تحدث الكاتب عن الصراع بين دولة عربية وغربية مثلما حدث مع غزو القوات الأمريكية للعراق سنة ٢٠٠٣م أو الصراع الوجودي مثل ما تتميز به تلك الدول الغربية من النهضة والازدهار في مقابل التخلف والانهيار الذي تئن تحت وطئته الدول العربية والإسلامية.

---

(1) عراق کی فوجیں کسی رکاوٹ کے بغیر کویت پر بمباری کرنے لگیں... بمباری کے پہلے حملے ہی میں محمد شفیق نے اپنے نیم تاریک کمرے میں دم توڑ دیا عراق کے حملہ آور فوجیوں کی اجازت سے اسے کویت ہی میں دفن کر دیا گیا اس موقع پر ہارون نے اپنے دوست کو خط لکھا اور کہا:
"سونے کی چڑیا اب چند دنوں کی مہمان ہے- محمد شفیق کو جب ہم اُٹھا کر کمرے سے باہر آئے تو عراقی فوجیوں نے بڑی پوچھ گچھ کی اور جب انہوں نے اجازت دی تو ہم اسے بغیر کفن کے دفنا آئے-" القصة، ص ٢٥٢.

نجح الكاتب في توظيف المكان في القصة دلاليًا مع المفهوم الفني للقصة وامتد المكان لينشر ظلاله على الإنسان في تلك المدن، ولعلنا نلاحظ أن مواصفات الإنسان في المدن العربية عنده كانت صفات تنم عن العاطفية أو السطحية وهي تكشف إلى حد بعيد المخزون الأيديولوجي لهذا الإنسان، فنلاحظ موقف السيّدة البريطانية العجوز "السيّدة جريي" التي كادت تفقد رشدها وتهذي بما هو ليس حقيقة ولكنها تتحدث من منطلق أنها بريطانية وفقط فلابد أن تذهب إنجلترا لاحتلال مصر مرة أخرى حتى تستعيد مكانتها أو هيبتها التي افتقدتها جراءما عرف بتأميم قناة السويس عام ١٩٥٦م.

"كانت هناك مرارة في لهجة الناس وكأنهم سيرتكبون شيئًا ما. لم تهدأ السيّدة "جريي" حتى الظهيرة وكانت تستمع للمذياع أو تحتج ضد "ناصر" فقد مزقت صورة عبد الناصر من الصفحة الرئيسة لجريدة ذلك اليوم وألصقتها على الحائط، بجوار حجرة الطعام وكانت تلقي بخطب احتجاجية أمام الصورة وتنبهها بصوت مرتفع: هذا جبن! لا يمكنك أن تفعل ذلك. لابد أن تعيد قناة السويس"[1].

---

[1] "لوگوں کے لہجے میں تلخی آ گئی تھی اور محسوس ہوتا تھا جیسے ابھی ساری آبادی کچھ نہ کچھ کر گزرے گی- مسز گرے کا مزاج دوپہر تک بھی نارمل نہیں ہوا تھا- وہ اس دوران پاتو ریڈیو سننی رہی تھی یا ناصر کے خلاف احتجاج کرتی رہی تھی- اس نے مارننگ نیوز کے پہلے صفحے سے ناصر کی تصویر تراش کرڈائننگ ٹیبل کے ساتھ دیوار پر چسپاں کر رکھی تھی اور وہ اس کے سامنے بیٹھ کر اور کبھی کبھی کھڑے ہو کر احتجاجی تقریر کرتی تھی اور بلند آواز سے ناصر کو خبردار کرتی تھی کہ ایسا کرنا بزدلی ہے- تم ایسا نہیں کر سکتے- سویز کو واپس کرنا ہوا گا". ایک لوک کہانی میری زبانی، ص ٢٤٢.

(٣) الشخصيات

إن الشخصية الروائية هي الوسيلة الرئيسية والمهمة للكاتب لتمثيل رؤيته, والترجمة على إحساسه بواقعه, فهي"ركيزة الروائي الأساسية في الكشف عن القوة التي تحرك الواقع من حولنا, وعن ديناميكية الحياة وتفاعلاتها, فالشخصية من المقومات الرئيسية للرواية, وبدون الشخصية لا وجود للرواية, لذا فإن بعض النقاد يعرفون الرواية بقولهم:الرواية شخصية"[٢]

لا تقل أهمية "الشخصية" في القصة القصيرة كذلك،حيث أن الكاتباستطاع الجمع في قصته "حكاية أُمة" بين الشخصية وبين طبيعة الحدث فكان التناغم بين النسيج الشعوري والحدث المادي وأول ما يقابلنا من تلك الشخصيات، تلك الشخصية الإنجليزية والتي جعلها في مرحلة عمرية متقدمة ليومئ إلى شيخوخة بريطانيا وأفول شمسها التي بدأت في التداعي منذ دخول الدول الاستعمارية مرحلة الأفول والتي انهارت عندما سمعت خبر تأميم قناة السويس وهو انهيار له ما يبدره واقعيًا إذ تلمح في هذا التأميم بداية انهيار الإمبراطورية البريطانية ولأنها نمت هذه العجوز في مرحلة (كلولونيالية) التي سوغت لنفسها نهب خيرات ومقدرات الشعوب وعندما تستفيق تلك الشعوب لتسترد كرامتها ومكانتها وتستعيد خيراتها يصاب الغرب (المستعمر) بالهلع والجنون.

---

[٢]فنون النثر العربي الحديث، شكري عزيز الماضي، جامعة القدس المفتوحه،عمان،١٩٩٦،ص٣٠.

"إن وقار بريطانيا ينحدر ولا تحصل على تلك المكانة التي كانت عليها في عهد الإمبراطورية ثم تقول بحزن شديد إن بريطانيا أخطأت بإنهاء إمبراطوريتها ولم تعد تلك التي كانت في طفولتي. إنها الآن مجرد جزيرة- أخشى أن يأتي يوم تكون فيه الأكثرية للشعوب الملونة"[1].

وفي مقابل تلك الشخصية بما تمثله من منطلق للحدث ومنبع للصراع تتجلى شخصية "جمال عبد الناصر" وكان هو الوجه الكريه بالنسبة للغرب وليس له من ذنب إلا أنه بحث عن حرية شعبه وعمل على استرداد مقدراته المادية والروحية. كان الفعل الإيجابي للمؤلف هنا إبراز بعض أشكال التعاطف من الأوروبيين مع "جمال عبد الناصر" مثل "بيبينو" الإيطالي الذي أثنى على فعل "ناصر".

"لقد أحسن ناصر، لقد أحسن"

سألته: أحسن في ماذا؟"

لقد استرد قناته لقد أحسن! أحسن للغاية.

---

[1] "بريطانیہ کا وقار گر رہا ہے- اب اسے وہ مقام نہیں مل رہا ہے جو ایمپائر کے زمانے میں حاصل تھا اور پھر بڑے افسوس کے ساتھ کہتی کہ بریطانیہ نے اپنی سلطنت کو ختم کر کے غلطی کی ہے- اب برطانیہ وہ نہیں رہا جو میرے بچپن میں تھا- اب وہ صرف ایک جزیرہ ہے میں تو اس وقت سے ڈرتی ہوں جب برطانیہ میں ان لوگوں کا غلبہ ہو جائے گا جو رنگ دار قوموں میں سے ہوں گے". القصة، ص ٢٤٤.

كان بيبينو أسيراً هنا في الحرب العالمية الثانية وعندما انتهت الحرب ظل هنا بدلاً من العودة إلى إيطاليا وامتلك هذا المطعم الصغير. تحدثنا كثيراً وقال بيبينو: الآن سيعلو اسم مصر وستصبح أكبر من إيطاليا موسوليني. أميجو! سترى ماذا سيحدث. ستحدث معجزة جديدة في البلاد العربية والإفريقية مثل معجزة المسيح. سيرى الأعمى، وسيسمع الأصم وسيشفى المريض"[1].

يشير الكاتب من خلال شخصية "بيبينو" إلى قلب الموازيين والمعايير، فلم يعد شيء في العصر الحالي مثاليا أو نموذجيا وخاصة ما يحدث في الوقت الحالي من تقلبات وتغيرات وتبرز في القصة بعض الشخصيات الحقيقية مثل "أنتوني أيدن" وغيرها كثير وهو مما يثير إشكالية فنية على قدر عال من الأهمية وهي: هل كانت هذه الشخصيات الواقعية لها دلالة فنية أم أنها وردت فقط لمجرد أنه كان لها دور حقيقي في التاريخ.

---

[1] "اچھا کیا، ناصر نے بہت اچھا کیا-"
"کیا اچھا کیا؟" میں نے پوچھا
"اپنی سویزے گیا- اچھا کیا! اس نے بہت اچھا کیا"
بے بینو دوسری جنگ عظیم میں پہلی جنگی قیدی تھا اور جب جنگ ختم ہوئی تو وہ اٹلی جانے گی بجائے یہیں رک گیا اور اس چھوٹے سے ریسٹورنٹ کا مالک بن گیا-
ہم نے بہت سی باتیں کیں اور بے بینو کہنے لگا: "اب مصر کا نام اونچا ہو گا- مسولینی کے اٹلی سے بھی بڑا ملک بنے گا- امیکو! تم دیکھوگےکہ کیا ہوگا- افریقہ اور عربیبولنےوالےملکونمیں ایک نیا معجزہ آئےگا- مسیح کےمعجزےکی طرح- اندھےدیکھینگے، پہرےستینگے اور بیمارشفایابہونگے-".القصة ص٢٤٣

وبجانب هذه الشخصيات المهمة والتي لها ثقل سياسي في تاريخنا الحديث برزت في هذه القصة بعض الشخصيات الهامشية البسيطة مثل العامل البسيط "محمد شفيق" الذي مات في الكويت، فلم يجد من يقف بجواره.. شريدًا.. مغتربًا أنهكت جثته المرض في الوقت الذي يسافر فيه أبناء تلك البلاد الغنية (بلاد الخليج العربي) إلى أوروبا لينفقوا هناك أموالاً طائلة على متعهم وملذاتهم.

"الكويت ليست بلداً وإنما عصفورة من ذهب وبريق الأموال فيها يزغلل العيون ليس الكويت فقط وإنما الشارقة ودبي والسعودية كلها عصافير ذهبية ملونة العرب أمراء .. أمراء وعندما يذهبون إلى لندن ينفقون أموالاً طائلة على الفتاة التي ترضى عنهم، الحياة لهم هم أما نحن مساكين ونقضي الأيام فحسب"[1].

الحوار: أهم ما يلفت الانتباه في هذه القصة هو الحوار نظرًا لاشتماله على بعض التقنيات التي لا توجد كثيرًا في بعض القصص مثل تداخل الأصوات بشدة بين ما هو حقيقي أو واقعي وما هو خيالي، وهو تكنيك أو اسلوب يأخذ القصة إلى نوع من التأريخ الواقعي إذ تجد أصواتًا

---

[1] کویت ملک نہیں سونے کی چڑیا ہے- ایسی دولت کی چمک ہے کہ آنکھیں موند جاتی ہیں- صرف کویت ہی سونے کی چڑیا نہیں ہے- شارجہ، دوبئی، سعودی عرب، سب چڑیاں ہیں سونے کی، رنگ برنگی چڑیاں عرب لوگ تو شہزادے ہیں، شہزادے لندن جاتے ہیں تو جو بھی لڑکی ان پر راضی ہو جائے اسے مالا مال کر دیتے ہیں- زندگی ہے تو اُن کی ہم تو مسکین کے مسکین رہے اور دن کاٹ رہے ہیں-" القصة، ص ٢٥٠، ٢٥١.

لشخصيات حقيقية مثل "أنتوني أيدن" رئيس وزراء بريطانيا إبان حرب السويس وغيره من مقاطع كثيرة وُضعت بين علامتي تنصيص دليلاً على أن هذه الجمل والحوارات ليست من إبداع الكاتب وإنما هي جمل أو حوارات حقيقية قيلت في مواقف تاريخية ثابتة، وهذا نوع من الكتابة ليس معروفًا بكثرة في أدبيات القصة والرواية بشكل عام.

وفي نفس تلك الليلة قال رئيس الوزراء البريطاني "أنتوني أيدن" في خطابه في التليفزيون: "لقد خلق ناصر صورة مشوشة بعد "هتلر" والتي لا يمكن تحملها على الإطلاق"[١].

إن قصة"حكاية أُمة" قصة غير تقليدية، تحتوى على ثمانية مشاهد وهذا يخرجها من الإطار التقليدي للقصة القصيرة ولكن فيها مقومات فنية أخرى تثريها من الناحية الأدبية.تناول الكاتب مصر من خلال شخصية "عبدالناصر" ومن خلال بعض الأحداث التاريخية مثل تأميم قناة السويس وغضب الغرب تجاه هذه الخطوة والقمم العربية المنعقدة في القاهرة كونها عاصمة العالم العربي وليس مصر فقط. اختتم الكاتب قصته برؤية ابن خلدون بأن الحديث عن الرفعة والعروج وأمجاد الماضي في زمن الزوال والانحطاط يؤدى إلى إطالة فترة الانحدار والزوال فقط وأن الحديث عن الماضي لايبنى مستقبلا،كما أن الحديث عن الأمس المشرق لا يصنع غدًا أفضل.

---

[١] اسی شام ٹیلی وژن پر برطانیہ کے وزیر اعظم "انتھونی ایڈن" نے اپنی تقریر پر میں کہا: ھٹلر کے بعد ناصر نے ایک نئی تشویش ناک صورت حال پیدا کی ہے جسے کسی طرح برداشت نہیں کیا جا سکتا۔" القصة، ص ٢٤٤.

الجزء الثاني: الترجمة

قصه شعبية على لساني

ذات يوم في يوليو ١٩٥٦م

١

دخلت صاحبة اللوكانده الغرفة وهى متوترة، لا تكاد أن تلتقط أنفاسها ويبدو عليها آثار الحزن البالغ، كان الوقت لايزال مبكرًا، ولم يتناول أحد فطوره بعد.

سألت: ماذا! ما الأمر؟ لماذا أنت مضطربة هكذا؟

"هل قرأت الجريدة؟"

"لا ! هل هناك خبر سيئ"

"لقد استولى ناصر على قناة السويس قالت صاحبة اللوكانده وعيناها تملؤها الدموع"

"ناصر من؟"

"ناصر مصر" قالت صاحبة اللوكانده وهى في غاية الحزن: قناة السويس... تلك التي تربط البحار !!؟؟

سألتها: "وما الأمر المحزن في ذلك؟"

قالت: "وكيف لا أحزن، كيف يستولى على قناة السويس ويسكت العالم، إنها قناتنا، نحن من صنعناها، إنها فكرتنا...

"يا سيدتي جريى! لا تقلقي لهذه الدرجة، فلنتناول الفطور أولاً، ثم نفكر في شأن ناصر والسويس!"

كان اسم صاحبة اللوكانده "السيدة جريى" وكانت معتادةأن تعيش مع عناوين الصحف.

لم تكن " السيدة جريى" هي الوحيدة القلقة بسبب خروج قناة السويس من اليد وإنما جميع سكان "تول كراس" كانوا في حالة من الغضب، حتى الفتاة التي أشتري منها السجائر كانت حزينة وقالت لى هامسةً إن ناصر استولى على قناة السويس وإنها لن تبيع السجائر لمصري مره أخرى"، كان مجموعة من الناس يتحدثون خارج مقهى شهير في المنطقة عندما مررتُ من أمامهم سألني شخص:"هل أنت مصري؟"

قلت له: "لا"

قال: "لقد استولى ناصر على قناة السويس، هذا لا يمكن أن يحدث!، لا يمكن!"

كانت هناك مرارة في لهجة الناس وكأنهم سيرتكبون خطأ ما، لم تهدأ "السيدة جريى" حتى الظهيرة وكانت تستمع للمذياع أو تحتج ضد ناصر، فقد مزقت صورة عبدالناصر من الصفحة الرئيسة لجريدة ذلك اليوم وألصقتها على الحائط، وكانت تلقى بخطب احتجاجية أمام الصورة وتنبهها (الصورة)بصوت مرتفع،هذا جبن "لا يمكن أن تفعل ذلك.. لابد أن تعيد قناة السويس".

كانت أبواب الجامعة مغلقة لأجازة الصيف، ولهذا خرجت من الشقة وجلست في هذا المطعم الذي كان يملكه شخصٌ إيطالي يدعى "بيبينو".

"بنجورنو" قال "بيبينو" مبتسمًا.

ألقيت عليه التحية حسب العادة، وبسبب قلة عدد الموجودين في المطعم، جلس "بيبينو" على كرسى بجواري

وقال لي هامسًا: "لقد أحسن ناصر، لقد أحسن"

سألته: "أحسن في ماذا؟!"

"لقد استرد قناته، لقد أحسن.. أحسن للغاية"

كان "بيبينو" اسيرًا هنا في الحرب العالمية الثانية وعندما انتهت الحرب ظل هنا بدلاً من العودة إلى إيطاليا واشترى هذا المطعم الصغير، تحدثنا كثيرًا، وقال "بيبينو":"الآن سيعلو اسم مصر وستصبح أكبر من إيطاليا_مسولينى، يا صديقي... سترى ماذا سيحدث، ستحدث معجزة جديدة في البلاد العربية والإفريقية، مثل معجزة المسيح، سيرى الأعمى وسيسمع الأصم وسيشفى المريض، ستتحقق معجزة ناصر مثل معجزة المسيح".

كان "بيبينو" سعيداً بأن –عبد الناصر– جاء (على الأقل) لتفتيت الإتحادين، لقد قسم قرار ناصر هذا بريطانيا إلى نصفين، وكانت الأكثرية في حق تأمين القناة أما الغاضبون فكانوا أقلية.

٢

وفى نفس تلك الليلة قال رئيس الوزراء البريطاني "أنتوني آدم أيدين" في خطابه: "لقد خلق ناصر صورة مشوشة بعد هتلر، ولا يمكن تحملها على الإطلاق، لقد احدث انقلابًا جديدًا مثل هتلر ويتم نشره في جميع البلاد العربية باسم "القومية العربية".

وبعد الخطاب انتقل بث المحطة التلفزيونية إلى القاهرة التي امتلأت بحشود كبيرة من الناس، وهتافات العرب للعرب... العرب للعرب... تملأ السماء، ومعها "ناصر عبد الناصر، ناصر... ناصر ... عبدالناصر" ومعها ظهر صوت عبدالناصر في المشهد، ووضح المذيع أن هذين الهتافين هما المسيطرين على دنيا العرب في الوقت الحالي.

هدأت "السيدة جريى" أثناء هذه الفترة،توقفت عن الخطابة و ظلت تتنهدوتقول:"إن وقار بريطانيا ينحدر وأنها لا تحصل على تلك المكانة التي كانت عليها في عهد الإمبراطورية، ثم تقول بحزن شديد أن بريطانيا ارتكبت خطأ بإنهاء إمبراطوريتها، لم تعد بريطانيا تلك التي كانت في طفولتيإنها الآن مجرد جزيرة ، اخشيأن يأتي يوم تكون فيه الأكثرية للشعوب الملونة.

:" سيدة جريى" انت متعصبة للغاية"

:" لا.. كان الناس يتوافدون الى بريطانيا للحصول على العلم والثقافة، انما الآن يأتون للقضاء عليها"

:"ولكن حدث هذا للروم أيضاً"

:"كان ذلك الأمر مختلفاً قالت –السيدة جريى– وكانت الدنيا حينها غير الدنيا اليوم"

٣ وفى نفس تلك الأيام انعقد مجلس القمة العربية في القاهرة والذي تقرر فيه إيجاد أهداف للقومية العربية لتوجيه الطاقة الإيجابية التي ظهرت في هذه الفترة إلى المسار الصحيح.

لقد أشارت القمة لأمرين مهمين؛ أولاً: ثروة النفط، وثانيًا: الثروة التي تجمعت في البلاد العربية ببيعه.

ذكر في التقرير أيضًا أن بناء المستقبل من أهم أهداف القومية العربية ولهذا الهدف تم دعوة متخصصين من أوروبا لوضع برنامجٍ لبناء المستقبل، ويتم تفعيلة انطلاقًا من مبدأ العرب للعرب (الوحدة العربية).

كانت جميع النماذج المقترحة لبناء المستقبل من قبل المتخصصين ذات طابع أوروبي: تخطيط مدن، خرائط المباني متعددة الطوابق، شوارع واسعة، محطات كهرباء، تكيفات، مدارس لغات، مستشفيات كبيرة، وبرامج ذات تقنية عالية للإشراف والمراقبة.

عندما طرحت هذه النماذج على الجمعية التي ضمت علماء متميزين في العالم العربي قال الدكتور حماد يوسف (من العراق) معترضًا،

:" مما لا شك فيه أن هذه النماذج تتناسب مع الحاضر، ولكن بها عيبا واحدا، وهو أن المستقبل المطروح في هذه النماذج مرتبط بالوقت الحالي، ولا يشتمل على أي ملامح من ماضينا المجيد"

قال الدكتور عبد الكريم الواصف (من تونس)،

:"ولكن لابد من إيضاح الماضي وأي جزء من ماضينا بالتحديد نريد إشراكه في مستقبلنا"

قال ريحان عبد العزيز (من القاهرة) موضحًا،

:"المراد من الماضي هو عهد تألقنا ومجدنا، ولابد من إشراك هذا المجد في المستقبل"

واتفق العلماء بعد المباحثات أنه ليس هناك تعريف محدد للمجد، لأن الشعوب والحضارات تختلف في أمجادها وخطب العضو الرئيسي في لجنة العلماء قائلاً:

"المجد الذي نريد إشراكه في بناء المستقبل غير ممكن في وقتنا الحاضر ففي هذا الزمن لا يمكن أن تتوسع الحدود ولا يمكن أن يتطور شعب في المجال العلمي دون أن يستفيد من الشعوب المتقدمة، شراء التقنيات الحديثة ممكنه ولكن الحصول على أصولها مستحيل لأن المبادئ والأصول من اختراع العقل المتطور ولا يمكن نقله للشعوب الأخرى فالاختراعات سريعة ولا يمكن أن يواكبها شعب بعيد عن هذا المجال، ولذلك يمكن بناء المباني، واستيراد السلع ودراسة العلوم أما الاختراعات فتنبع من العقل ولا يمكن شراء العقول، العقل الأوربي متقدم بعدة قرون عن عقول بقية العالم".

٤ وأثناء جلسات القمة العربية وقعت حرب ١٩٧٣ في رمضان، واستخدم العرب سلاحًا جديدًا انطلاقًا من الوحدة العربية والذي امتدت آثاره لأوربا وأمريكا وليس فقط في ميدان الحرب.

أوقفوا تصدير الوقود للعالم الغربي... الوقود لنا فقط... الوقود ثروتنا نحن... نريد أن نصنع كرامتنا...

امتلأ العالم العربي بمثل هذه الشعارات وخرجت المظاهرات وتم الضغط على الحكومات وارتفعت الأصوات المألوفة.

العرب للعرب... العرب للعرب... لا وقود للغرب... أوقفوا إمداد الوقود... أوقفوه!!!

كانت بداية فصل الشتاء في أوروبا وأمريكا، عندما بدأت حرب رمضان ١٩٧٣، تدنى إنتاج الكهرباء والغاز بسبب توقف إمداد النفط وأغلقت المصانع، مما أدى لترك عدد كبير من العاملين وظائفهم، وبالتالي أدى هذا إلى ضغوط مضاعفة على الضمان الاجتماعي (Social Security) تعطلت أجهزة التدفئة المستخدمة في البيوت والمكاتب والمحلات وظهر الشتاء بوجهه الحقيقي وهؤلاء الذين اعتادوا على النوم والعيش في غرف دافئة بدأوا أن يملوا من الحياة، لقد أثر التوقف عن إمداد الوقود على الاقتصاد سلبًا كما ظهرت العديد من المشاكل الإنسانية، ساء حال المرضى في المستشفيات، وفقدت أمريكا وأوروبا مفهوم الأمور التي كانت تعتمد عليها كرامتها، لقد غيرت هذه المأساة طريقة تفكير أوروباوأمريكا.

قال "مارك ستيفنسن":

" إذا استمرت هذه المحنة طويلاً ستقضى على ثقافتنا، ومستوى معيشتنا، ولابد من التفكير في هذه المسألة بجدية"

ورأت الصحف أن التوقف عن إمداد الوقود سيضغط على السياسات الدولية وقالت صحيفة ديلى تليجراف :

" إن التوقف عن إمداد الوقود سيقطع شريان حياتنا، وظهرت في تلك الفترة في الدوائر الأمريكية والأوربية مخاوف عديدة، بأن حياتهم أصبحت في يد العالم العربي الذي أصيب بجنون الوحدة العربية، ولا نتوقع أن ينقذ حكام العرب من جنون سكان العالم العربي، الملوك والرؤساء وشيوخ الأمارات (الأمراء)، تحت رحمة هؤلاء الذين نادوا بالوحدة العربية ليل

نهار، ولذلك أما أن نقضي على الوحدة العربية، أو أن نضع أقدامنا على أرض النفط للأبد، ولابد من الاختيار بين الاثنين.

لقد خلقت الصحافة في أوروبا وأمريكا أجواء مليئة بالخوف وعدم الأمان.

خطب وليم توماس في الكونجرس الأمريكي في لجنة الشرق الأوسط:

"بعد الحرب العالمية الثانية واجهت الدنيا المهذبة خطر دنيا العرب التي استخدمت سلاح النفط كسلاح حربي وبعد أزمة قناة السويس خلقت مشكلة النفط استراتجيات جديدة والتي قد تؤدى إلى اختلال توازن القوى العظمي والسؤال الذي يطرح نفسه الآن هو هل الحضارة الغربية والحفاظ عليها مهم للإنسانية أم لا؟ وهل من الممكن ترك هذه الحضارة تحت رحمة هؤلاء البدو؟ لابد من الفصل في هذا الأمر آجلاً أم عاجلاً..."

٥ حدثت واقعة غريبة في ١٩٨٣م، وصلني خطاب من "فلورنس جود هوب" من أمريكا، كتبت فيه أنها تكتب بحثًا عن سفريات الحج، وتريد أن تلتقي بي بخصوص هذا الأمر، كتبت فيه،

: لا أعرفك شخصياً وسمعت عنك من أستاذ في كليفورنيا، هل يمكن أن تخبرني شيئًا عن تلك السفريات؟ قرأت مقالتك عن هذا الموضوع... سأتمكن من المجيء في شهر مارس.

قالت فلورنس جود هوب،

: إن الإسلام دين عظيم وعالمي وأعطي للعالم حضارة وثقافة منفردة، ولكن سمة التحيز الذي يتسم به الإسلام غير مفيد للإنسانية.

قلت لها: غرباء أنتم!، تختلقون موقفًا ثم تبلورونه على طريقتكم لتحققوا أهدافكم.

: "لا، هذا ليس صحيحًا، كنت أتحدث عن منفعة الإنسانية، لماذا تحب الأرض العربية لهذه الدرجة؟"

سألت عبد الحق الذي وصل إلينا متجولاً،

: "لماذا كانيحب أجدادك القدس لهذه الدرجة –أيام الملك ريتشارد–؟"

أسفر الحديث عن سفريات الحج عن الحديث عن العقائد ومناسك الحج، سألت فلورنس جود هوب،

: لقد قسم شعار الوحدة العربية العالم الإسلامي وترى الدول العربية الثرية غير العرب بأنهم "مساكين"، هل علاقة هؤلاء المساكين بالأرض المقدسة كما كانت في الماضي؟

سألتها في ضيق،

: لماذا تكتبين بحثا عن سفريات الحج؟

: وهل على العلم قيود؟ تساءلتفلورنس جود هوب.

سألتها بلهجة هادئة: هل تريدين معرفة رد فعل المسلمين إذا دخلت أمريكا المنطقة العربية؟.

أجابت فلورنس جود هوب بلهجة هادئة

: رؤيتك خاطئة للغاية، ووضحت فلورنس إنها مهتمة بدراسة الحضارات في ضوء رؤية "جوينج" ولذلك تريد فهم الرؤية الاجتماعية للحج في ضوء العصر الحاضر، وأنها ستحصل على درجة الدكتوراه بعد كتابة هذا البحث، وسيتم ترقيتها في الجامعة التي تقوم بمهام التدريس فيها.

٦ في نفس هذه الأيام كتب هارون خطاباً لصديقه سليمان، من الكويت:

"صديقى.. الكويت ليست بلدك وإنما عصفورة من ذهب وبريق الأموال فيها يخطفالأنظار، ليست الكويت فقط وإنما الشارقة، ودبى والسعودية كلها عصافير ذهبية ملونة، لقد من الله عليهم بكرمه وفضله نسمع الآن انه يتم معاينة الجبال في السعودية بواسطة الطائرات وكل من يأتي من هناك يخبرنا بأن لون الجبال ذهبى، لقد وصلت فرق أمريكية للبحث والمعاينة... سأرسل لك التأشيرة خلال أسبوع لترى العصفورة الذهبية بنفسك، العرب أمراء..!!!

وعندما يذهبون الى لندن ينفقون أموالا طائلة على الفتاة التي ترضى عنهم، الحياة لهم هم أما نحن مساكين، ونقضى الأيام فحسب".

كان "محمد شفيق" من "ساندە كلان" مقيما في الكويت منذ خمسة عشر أو عشرين عاماً وكان يعمل في صيانة أجهزة الراديو، وكان يرسل كل راتبه لزوجته في البيت ويحتفظ بالقليل لنفسه مما أثر سلباً على صحته، فكان يأكل وجبة واحده في اليوم، ويجد أن الشاي مكلف فيشربه من الحين

للآخر ويعمل وقتا اضافيا، وفى تلك الفترة عندما كان يتبدل حظ العالم العربى اضطر "محمد شفيق" للذهاب الى المستشفى عدة مرات، شُخصت حالته على أنها امساك مزمن ثم قرحة في المعدة ثم بدأ أن يتقيأ دماً في الفترة التي كانت تحاول فيها الفرق الأمريكية السيطرة على آبار النفط، نقل "محمد شفيق" الى الطوارئ وعندما كان في المستشفى أرسلت له زوجته رسالة على يد أحد ما، بأنها في حاجة الى مزيد من النقود...

٧ أثناء مرض "محمد شفيق" انتشرت الأخبار بأن السياسة الأمريكية نحو العالم العربى تغيرت وتعتبر أمريكا الآن بأن النزاع العربي أمر داخلى وأنه ليس من اهتماتها .نشرت الصحف أيضًا عددا كبيرا من الأحداث مثل غزو العراق على الكويت وأصبح هذا العنوان الرئيس في جميع الصحف، بدأت القوات العراقية في إلقاء القنابل على الكويت دون أدنى اعتراض... لفظ محمد شفيق أنفاسه الأخيرة أثناء اول هجمة للقوات العراقيه، في غرفة شبه مظلمه وتم دفنه في الكويت بعد أخذ التصريح من القوات العراقية، حينها كتب هارون لصديقه:

:" طارت العصفورة الذهبية ....طارت العصفورة، عندما حملنا محمد شفيق لخارج الغرفة، تم استجوابنا من قبل الجنود العراقيين كثيرًا، عندما صرحوا لنا بذلك قمنا بدفنه دون كفن، تغيرت الأحوال كثيرًا، الناس يهربون من الكويت، ودخلت القوات الأمريكية إلى السعودية، أرسل لك هذا الخطاب مع –عبد الرشيد– الذي يحاول الخروج عبر الأردن، عدد الجنود الأمريكان كبير, لا

أعرف متى ستنتهي الحرب وإلى متى ستظل الجيوش الأمريكية في هذه المنطقة."

وغرقت هتافات الوحدة العربية في بحر الغزو الأمريكي وسقط سلاح النفط من يد العرب واستولت أمريكا عليه، لم تبقى الكويت العصفورة الذهبية، ولم تبقى هيبة حكام الأمارات، ولا سلطنة آل سعود، كل ما تبقى هو آثار ماضٍ جديد...

٨ انعقدت القمة العربية، كانت الجلسة ممتلئة وتم بحث اقتراح كيفية إشراك المستقبل في تشكيل الحاضر.

: كيف نشرك أمجادنا الماضية؟

: في ماذا؟

: في المستقبل.

: أي مستقبل؟

: لقد ظهر أمامنا الآن ماضٍ جديد، سنتحدث عن مستقبلنا في وقت لاحق.

كان "عبد المناف" ضيف عندي في تلك الليلة، كان أستاذًا لعلوم المستقبل FUTURE STUDIES في احدي الجامعات الأمريكية، وكان يؤمن بقول "ابن خلدون" بأن الهبوط بعد الصعود أمر حتمي، وقال إن الحديث عن الأمجاد في أوقات الزوال سبب في استمراره،

أعطاني "عبد المناف" هذه القصة لترجمتها ونشرها حتى تكون عبرة للعالم، وفى تلك الليلة ..... لم أنم،،،

ماذا ستفعل إذا حدث هذا...؟
بطاقة تعارف فارغة
قصة سائح أجنبي

في نفس هذا الوقت، في نفس هذه الأجواء، ونفس هذا الزمن

بدأنا الحب من هنا

بقلوب مرتجفة ونظرات مرتعشة

دعوت في رحاب الرحمن دعوة صغيرة

دعوت أن تتفتح البراعم وتصبح زهورًا

وأن يتقبل الله دعاء القلب والعين

(ساهر لدهيانوي)

لقد مرت عدة أشهر منذ أن وصل إلى مدينة الأضواء الجميلة "القاهرة". وكانت عدم معرفته باللغة العربية هي نقطة ضعفه الكبيرة. كان "رميش" يتنهد تنهيدة باردة عندما تمر بجواره فتيات مصر الحسناوات بأجسادهن الرشيقة وشعورهن الذهبية غارقات في العطر ويغرق في دوامة من الأحزان.

كان يتمنى أحيانًا ليته لم يأتِ لهذه المدينة بغرض السياحة لعله لم يكن ليتعرض لهذه الأحزان... فقد التقى بفتاة... وفقدها... ولم يتمكن

من العثور عليها رغم بحثه عنها. كان يجد الفتيات في المراكز التجارية المختلفة. وكان يبحث بين وجوههن عن وجه "فوزية طالب" الجميل البريء ، ولكنه كان دائمًا ما يصاب بخيبة الأمل.

لقد التقى بفوزية في متحف القاهرة. كان يتجول في هذا المتحف التاريخي عندما اصطدمبها. وانهي "رميش" الأمر بقوله "عذرًا". وياليت انتهى الأمر هنا فما تبدل مسار حياته. سألته فوزية بلطف بالإنجليزية عندما نظرت إلى وجهه "إذا سمحت هل أنت هندي...؟...؟؟".

رد "رميش" بالإيجاب. وتقدم الأمر هكذا. المصريون عاشقون للأفلام الهندية. لقد استمر عرض الفيلم الهندي "سنگم" لمدة عام كامل في السينما في مصر وهذا يعد رقمًا قياسيًا. كانت "فوزية طالب" عاشقة للأفلام والوجوه الهندية.

كان هذا اللقاء المختصر جميلاً للغاية وجعلهم يقتربون لبعض. وبالإضافة للمتحف تجولا الاثنان معًا في عدة أماكن أخرى شيقة. وعندما حان وقت الرحيل أعطت له "فوزية" بطاقة تعارف فيها عنوان مكان عملها حتى يلتقيا ثانية. أعطت له "فوزية" الكارت وركبت في سيارة أجرة واتجهت نحو البيت. كان "رميش" يمسك بالكارت في يده. وعندما ذهبت فوزية نظر إلى الكارت وشعر _ حينها_ بأن مدينة القاهرة بأكملها تدور حوله. وهو في المنتصف كاد أن يسقط من الصدمة لأنه عندما نظر إلى الكارت وجده خاليا تمامًايبدو أنه تُرك أثناء الطباعة وفوزية أخرجت له الكارت من بين كروت أخرى واتجهت لبيتها.

ظن "رميش" بأن فوزية قد تكون استغفلته ومرت اللحظات الجميلة في لقائهما الذي استمر لبضعة ساعات مثل شريط تسجيلي، فقال

لنفسه إن هذه بالتأكيد صدفة وليست مزحة... مجرد حادثة... ولكن لم تتحمل حياة "رميش" مزيدًا من الحوادث.

بحث "رميش" عن "فوزية" في كل مكان ولكن باءت جميع محاولاته بالفشل، كان عقله يتوقف عن التفكير أحيانًا من شدة زحام القاهرة. كان يتعب من السير في شوارع القاهرة الواسعة ويقول "يا فوزية" يا ليتك لم تأت في حياتي، وإذا أتيت فياليتك لم تتركيني هكذا. ما هذه المزحة التي فعلتيها مع رجل غريب... أنت لا تعلمين ماذا حدث لي بعد فراقك... ظلمتيني ظلمًا بالغًا... تركتيني في الطريق واختفيت... أخبريني كيف اسأل عنك... لقد تعهدت بأني لن أترك هذه المدينة إلا بعد أن أجدك... وهذا هو قراري الأخير...!!

ظل "رميش" على عهده حتى بعد مرور عدة أشهر... وكبرت لحيته... واتسخت ملابسه... لم يفكر في شيءٍ سوى "فوزية طالب" ايقاظًا ورقودًا، وعلى كباري القاهرة الطويلة كان الناس ينظرون إلى هذا الرجل الهندي بنظرة عابرة ويتقدمون.

كان الكل مشغولا بنفسه ولم يهتم أحد بحالته الحزينه. وكانت النتيجة أن الذي أتى إلى مصر لمدة شهر بغرض السياحة ظل باقيًا فيها حتى بعد مرور عدة أشهر. وبالصدفة تم مراجعة جواز سفره من قبل أفراد قسم (التسفير والهجرة) فوجدوا التأشيرة منتهية منذ فترة طويلة. لم يعترض "رميش" عندما قبضت عليه الشرطة المصرية وسلّم نفسه لهم.

أما فوزية فانتظرت الشاب الهندي لعدة أيام في مكتبها ولكنه لم يأت وحينها أخرجته فوزية من تفكيرها على اعتبار أنه ترك القاهرة واتجه إلى مدينة أخرى لغرض السياحة.

وفي يوم عادت "فوزية" إلى بيتها لتجد والدها "طالب فهمي" – والذي كان في منصب مهم في وزارة التسفير والهجرة – في حالة حزن وتفكير عميق وبعد إلحاح من فوزية قال "لقد جاءنا بالأمس شابٌ هنديٌ لتجاوزه المدة المسموحة لإقامته في مصر، ورفض أن يبوح عن السبب، مع أن لا يزال لديه مبلغٌ معقولٌ لمصروفاته...!" وعلى الفور حضر "رميش" إلى ذهن "فوزية". ولكنها قالت لنفسها إن "رميش" شابٌ متعلمٌ ويعرف القوانين ولا يمكن أن يصدر منه خطأ كهذا. إن تجاوز المدة المسموحة للإقامة فإنها ليست بمشكلة كبيرة ولكن أبدت "فوزية" الرغبة في رؤية ذلك الشاب. ووافق والدها بعد إلحاحها.

وفي اليوم التالي وصلت "فوزية" قسم الشرطة وشعرت بصدمة عندما وجدت "رميش" أمامها. امتلأت عينا "رميش" بالدموع عندما نظر إليها من خلف القضبان... وقال لفوزية بحرقة:

"هل أنت سعيدة لرؤيتي هنا؟...؟

نظرت إليه فوزية باندهاش وقالت:

"لماذا يا رميش؟...؟؟

فأخرج "رميش" بطاقة فارغة من جيبه ورماها خارج القضبان. انحنت فوزية وأمسكت بالبطاقة فوجدتها فارغة من الناحيتين وحينها أدركت أن اللقاء القصير الذي نسيته قد ترك أثرًا عميقًا في نفس "رميش" وهى المسئولة عن وصوله لهذه الحالة... جرت فوزية نحو مكتب والدها

حتى يتم الافراج عن "رميش"، ونظرت إلى "رميش" قبل أن تمشي فوجدت بريقاغريبا في عينيه وكأن نجمتين اقتربتا لبعض... اقتربتا للغاية...!!

كتبت أثناء الإقامة في مصر ٢٧ مايو ١٩٨١م

غرق آل فرعون

"أمواج البحر تلك التي كانت بمثابة طوق نجاة للمظلومين والمقهورين من ظلم فرعون هي نفس الأمواج التي تلاحمت لتلتهم فرعون وجنوده "

كانت مجموعة كبيرة من العبيد في طريقهم إلي مدينة فرعون بعد أن قضوا يومًا شاقًا في وضع أسس قوية للأهرامات.لقد انتهى العمل ولكن لاتزال تعاقبهم أسواط قادتهم على أجسادهم العارية ليصلوا لأماكنهم قبل غروب الشمس.

كان رجال فرعون يهشون هؤلاء المظلومين المقهورين مثل قطيع من الأغنام، يحدث هذا المشهد على أرض تقدمت عن بقية بلدان العالم، بها مبان شامخة، وحدائق خضراء تشبه الجنة تخجل من عظمتها ووقارها قوم عاد وثمود، كان أقباط مصر هم مركز ومصدر الحضارة والثقافة فيهذه الفترة، أطلق ملوكهم على أنفسهم لقب "فرعون" ليفرضوا سطوتهم على الناس،كانت تنحني لفرعون آلاف الرقاب يسجدون لقدرته وجبروته، ويقرون له بالعبودية.

إن أوج الحضارة المبنية على التجمع الجائر للنفوذ والثروة تؤدي إلي ظهور مجموعة من البشر تدعي الألوهية داهسة على كل المعاني فيحتقر دلالات القدرة الإلهية حوله.أطلق أهل مصر درجة الإله المطلق على ملوكهم وبدأوا يعبدونه، وادعى الملك "فرعون بأن (ليس هناك ملك في قوتي واقتداري على وجه البسيطة، أنى الوحيد المتحكم في أقدار الإنسان والحيوان، وخزائن الأرض كلها ملكي وحدي ولا يجرؤ أحد على

التصرف في ذرة منها دون إذن منيالكون كله يتحرك بمشيئتيوهل يمكن أن تتجرأ أي قوى ظاهرة كانت أو خفية أن تنتصر على أو تأتي في مواجهتي؟).

كان جنود فرعون يهشون العبيد من بني إسرائيل كقطيع من الغنم ويوجهونهم نحو مدينة فرعون.تصور الأقباط(أي شعب فرعون ونسله) أنهم أصحاب أرض مصر بما فيها من خيرات، واحتقروا بني إسرائيل الذين كانوا يسكنون معهم على نفس البقعة من الأرض، فقد هاجر أبناؤهم وأجدادهم إلي أرض مصر وغُلبوا أمام أقباط مصر لفقرهم وقلة عددهم.

وبعد مرور عدة سنوات لاحظ الأقباط زيادة كبيرة في أعداد بني إسرائيل ولذلك استأذن رجال آل فرعون منه أن يقتلوا مواليد بني إسرائيل ويبقوا على نسائهم أحياء ليزينوا بهن بيوتهم.

لم تكن قيمة بني إسرائيل أكثر من قيمة الحيوانات عند آل فرعون ولذلك أرادوا أن يحددوا عددهم حسب احتياجاتهم، حتى لايكثر عددهم ويظلوا عبيدًا لهم إلي الأبد.لقد قضى يوسف وأبناء إخوته عدة قرون في هذا الذل والكرب ولم يتمكن من الوصول إلي وسيلة تنجيهم من سطوة آل فرعون فأخرجوا من ذهنهم فكرة المواجهة بسبب تدابيرهم الماكرة من قتل الرضع وغيرها، فاعتادوا على هذه الابتلاءات واعتبروها قدرهم الدائم.أيقظ نداء موسى بن عمران أرواحهم الخاملة وأشعل أماني الحصول على الحرية في قلوبهم والخلاص الذي اعتبروه مستحيلًا أصبح ممكنًا.

لقد عاد موسى الذي تربى في منزل فرعون بعد اثنتي عشرة عامامن هجرته وقال لأهله إن ارض الله واسعة وبها أماكن مهجورة في انتظار من يعمرها وأن هدفه من الرجوع إلي مصر هو إخراج بني إسرائيل

من هناك، خلقت رسالة موسى هذه حالة من الهيجان بين أفراد بني إسرائيل فبدأوا في استئذان أسيادهم حتى يعودوا إلي وطنهم الأصلي وقالوا (بني إسرائيل) لهم (أسيادهم من آل فرعون) إن آبائهم وأجدادهم أوفدوا إلي هذه الأرض بناءً على طلب كبارهم ، وأنهم الآن يطالبونهم بأن يسمحوا لهم بالذهاب مع موسى.

ظلت فكرة الهجرة من مصر تكبر في ذهنهم يومًا بعد يوم، وخشى الحكام آن ذاك أن تنقلب هذه المطالب وتأخذ شكل ثورة فتضيع من أيديهم تلك العمالة الرخيصة ويرحلوا إلي أرض أخرى.تم استدعاء موسى وأخيه إلي بلاط فرعون فإنهما كانا السبب في تغير فكر بني إسرائيل تم التحقيق مع موسى وأخيهفي البلاط المتكدس بالناس، وسألهمافرعون ما هو الهدف الحقيقي من تبليغه في بني إسرائيل؟

قال موسى: "هدفنا الأساسيهو أن تأذن لبني إسرائيل أن تذهب معنا وقد جئناك بهذه الرسالة من ذلك القادر الذي هو خالق كل الأكوان وهو أرحم الراحمين ولا يميز بين أحد".

قال فرعون: "يا موسى! أليس أنت من نشأت في منزلنا! ربيناك وكبرناك وقضيت فترة كبيرة من عمرك بيننا ثم ارتكبت جريمة كبرى عقوبتها الموت ولكن لم نعاقبك عليها، فلماذا أتيت اليوم لتعادينا وتثير عبيدنا ضدنا؟"

موسى: نعم! ارتكبت جريمة، ولكن لم أكن بعثت بالرسالة حينها، ولم أرتكبها بقصد ورحلت بعدها من مصر، حتى لا تؤذوني وفي الغربة، مَّن الله علىّ بفضله وبعثني نبياً، تقول أنك ربيتني ولكنك أردت قتلى أيضاً، إنها إرادة رب العالمين وحده أنى لازلت حيًا، فالله وحده الذي حافظ علىّ

منذ ولادتي بطريقة تدل على قدرته المطلقة، جعلتم من قومي عبيدًا لكم ورغم ذلك تمنَّ عليَّ بتربيتكم لي؟!"

فرعون: "ماهو رب العالمين الذي تردد اسمه مرارًا وتكرارًا فهل هناك أقدر مني على وجه البسيطة؟"

موسى: "رب العالمين هو ذلك الذي ترى معجزاته في الأرض والكون كله، قد لا تؤمن به ولكن لايمكن أن تنكر هذه الحقيقة الكبرى بأنه هو من يحفظ هذا الكون".

فرعون :" وهو يخاطب حاشيته " هل تسمعون ما يقوله موسى؟!

موسى:" رب العالمين هو الذي خلقك أنت وآبائكوأنت تعيش بفضل نعمه عليك".

كره فرعون السماع عن وجود قوة أخرى غيره وخاف أن يتأثر بحديثه هؤلاء الذين اعتبروه إلها فقال بعصبية: "أيها الناس هذا الشخص الذي يقول إنه رسول لكم أظنه مجنوناأو مخبولا ويقول كلاما عجيبا".

قال موسى: "رب العالمين هو إله المشرق والمغرب وهو ليس في حاجة إلي سعى كبير لتدركه لايحتاج إلا لعقل يتأمل في الكون وما فيه وسيدرك أن ورائه قوة كبيرة".

لم يحتمل فرعون السماع عن "رب العالمين" أكثر من ذلك فقال يا موسى! إذا تصورت أو آمنت أن هناك إلها سواي سألقيك في السجن".

موسى: "يافرعون! لاتستطيع أن تمسني بسوء واستطيع أن أقدم لك دليلاً بينًا واضحًا على وجود الله الذي هو القادر على كل شيء وفي قبضته روحي وروحك".

فرعون:قدم لنا الدليل انك نبيٌ مرسل من رب العالمين".

ألقى موسى بعصاه على الأرض فتحولت إلي ثعبان حي مما أدهش فرعون ورجاله، ثم رفع يده اليمنى للأعلى فخرجت منها أشعة قوية كأشعة الشمس.غير فرعون أسلوبه عندما شاهد هذه المعجزات وخاطب رجاله قائلا: "يبدو أنه ساحرٌ ماهرٌ يريد أن يخرجكم من بلادكم بقوة سحره فأخبروني ما هو علاجه؟".

لقد سيطرت هيبة معجزات موسى الخارقة والحديث عن الله الحق على الموجودين، وكادوا أن يؤمنوا به فطلبوا من فرعون أن يضع موسى في مزيد من الاختبارات وأن يواجه "كابار" سحرة مصر يوم الزينة (احتفال تؤدى فيه الألعاب والعروض أمام الجمهور).

وفي يوم الزينة، أشرقت الشمس بكامل بهائها على وادي النيل، وبدأت أجراس المعابد تدق لتعلن عن جلال وعظمة فرعون، بدأ الناس بالتوافد على ميدان الاحتفال بالعيد وأقيمت حفلات الرقص والغناء وانتشرت وسائل الترفيه والتسلية في كل مكان وتوافد رجال فرعون إلي الاحتفالمرتدين ملابس براقة، ونصبت المحلات لبيع السلع المختلفة كما نصبت خيمة فرعون في مكان أوسع تدل على عظمته وجلاله الدنيوي الزائل،جلس فرعون على تخته المرصع بالجواهر والمصنوع من العاج الخالص، فرش قارون أسفل وأمام التخت العملات الذهبية، حضر كبار السحرة في مصر، الذين جاؤا من أماكن بعيدة بدعوة من فرعون، كما وصل موسى وهارون متكئين على عصيانهم، وكانت أنظار الحضور في حالة ترقب لتشهد هذه المعركة بين الحق والباطل التي تقرر انعقادها ذلك اليوم.

خاطب فرعون السحرة وقال لهم: "عرض ساحر بني إسرائيل – هذا – معجزات غريبة وعجيبة أمامنا، واستدعيتكم لتغلبوه بقوة سحركم لتحفظوا ماء وجه آل فرعون، حول هذا الشخص عصاه إلي ثعبان، ويدعى أنه رسول من رب العالمين، وأنكم بالتأكيد تعلمون أن جميع قوى العالم أصبحت مسخرة لي".

قال السحرة: "نقسم بعزتك بأننا سوف نغلب ذلك الساحر لا محالة، يوجد بيننا ماهرين كبار ولكن نطلب منك جائزة كبيرة إذا انتصرنا عليه".

وعدهم فرعون أنه سوف يُعينهم في البلاط الملكي وسيكونوا من المقربين له،لم يتصور أهل مصر منصبا أهم من هذا، شعر جميع السحرة بسعادة غامرة عندما وعدهم فرعون بذلك وخاطبوا موسى قائلين :" هيا واجهنا".

قال موسى:" لقد منحني ربي آية واضحة تدل على رسالتي حيث تصبح عصاي ثعبانا بمجرد أن أضربها على الأرض أروني ما يمكنكم أن تفعلوه بسحركم".

قال السحرة:"نحن أيضًا نستطيع أن نحول الحبال إلي ثعابين".

قال موسى: "إذن.... أروني ذلك".

فرش السحرة عددا من الحبال وبدأوا يطوفوا حولهم وهم يعزفون الناي والبعض الآخر يقرأ التعاويذ وفي لحظات تحولت جميع الحبال إلي ثعابين، ضحك فرعون بصوت عال وهتف بهتافات النصر.اندهش موسى أيضًا بهذا السحر وبمجرد أن وضع عصاه على الأرض تحولت إلي أفعى

كبرى أخرجتصوتا أرهب الحضور، فجرت ثعابين السحرة كلهم وعاقبتهم هذه الأفعى وفي لحظة إلتهمتهم جميعًا.

كان السحرة على يقين بأنه لايوجد من يفوقهم في السحر ولذلك عندما شاهدوا سحر موسى تيقنوا بأنها ظاهرة خارقة وفوق العادة، وأن موسى على حق وأن هذا دليل على نبوته، سجدوا جميعًا أمام ذلك الإله القهار الذي تفوقت قدرته على سحرهم وأعلنوا أنهم آمنوا برب موسى وهارون.

لم يتحمل فرعون هذا ونهرهم قائلاً: "إنكم معدومي الأدب كيف تسجدون أمام إله موسى وهارون دون إذني، إني على يقين أن موسى هو قائدكم وقد قمتم بتدبيرهذا الملعوب لإذلالي وعقوبتكم هي... أني سأقطع أعضائكم وأصلبكم".

قال السحرة: "يا فرعون! لقد ظهرت أمامنا هذه الحقيقة جليًا بأنك لست خالق هذا الكون وإنما الله هو الذي جعل موسى نبيًا، يمكنك أن تأذينا وتقتلنا ولكن الله هو الذي يغفر ذنوبنا بعد الممات، وهو الذي خلقنا، افعل بنا ما تشاء ولكننا لن نتراجع عن إيماننا بالخالق الحقيقي للأرض والسماء.

أصيب فرعون بدهشة كبيرة ورأى عزته وقوته يتحطمان أمام الجميع...رأى ألوهيته تسلب، وخشى أن يؤمن الجميع بإله موسى وهارون مثلما فعل السحرة ويضيع ملكه، فقال لمعاونيه: "رغم ما سمعت ورأيت إلا أني أظن موسى كاذبًا ولا توجد قوة أكبر مني على وجه الأرض. يدَّعى موسى بأن الله يحكم الفلك ولكن هذا خطأ وأستطيع أن أثبت ذلك.

يا هامان! اشرع من اليوم في بناء هرم عال حتى أصل إلى الأجرام الفلكية بالصعود عليه وأرى إله موسى بقوته وعظمته، وأسيطر على تلك الأفلاك التي ينسبها موسى لإلهه.

أيد قارون وهامان فرعون في محاولة إقناع الحضور بأن الأفلاك ليست خارج سيطرة الإنسان، وأن فرعون يستطيع الصعود على النجوم ليوسع ملكه وأنهم كرجال وعبيد فرعون قادرين على توفير جميع الإمكانيات ليصل فرعون لذلك.وحتى يقللوا من تأثير موسى على الحضور أطالوا في الكلام والحديث وطالبوا فرعون بأن يأمر بقتل موسى وهارون وباقي السحرة.

تجرأ أحد رجال فرعون أن ينطق بالحق في بلاط ذلك السلطان الجائر وقال: "يا أيها الناس! تريدون قتل شخص ذنبه الوحيد أنه يقر بأن الله هو خالقه وأنه لا ينحني أمام أحد غيره، وسبق وقدم أمامكم دلائل واضحة ليؤكد صحة دعوته ومعجزات لا يقدر عليها إنسان فإذا كان كاذبًا فإن كذبه لا يضركم، لأن الكاذب لا يفلح ولا ينتصر وإذا كان صادقًا فعليكم أن تفكروا في عاقبتكم لأن العذاب الذي يتحدث عنه سيلحقكم، ولا يمكن من إنكار القوة الإلهية وذلك الذي يكذب على الله سيلقى جزائه وإذا أتى أحد بوحي من الله لن نتمكن من مواجهته حتى إذا أعددنا العدة. مما لا شك فيه أن لنا الغلبة اليوم وأمور الحكم والسلطة في أيدينا والطاقة والجبروت كلها مسخّرة لنا ولكن، إذا ابتلينا ببلاء من السماء لن نجد من يساعدنا".

فرعون: "ولذلك أرى أنه لابد من قتل هذا الشخص حتى لا تبقى أي فرصة للفتنة".

الرجل: "ولكني أرى أنه لن يضرنا شيء إذا استجبنا لهذا النبي، وأخشى أن يبتلى شعبنا بمصائب كبيرة في حالة إنكارنا له، إن تاريخ شعوب عاد وثمود ونوح واضح أمامنا، لم تتقدم تلك الشعوب ماديًا أو دنيويًا ولم يؤمنوا بهم وكانت عاقبتهم الفناء ولم يبق لهم أثر اليوم، أخاف أن تكون نهايتنا مثل نهاية قوم عاد وثمود ونوح، تتذكرون أن يوسف دعانا للإيمان بالله ولكن شككنا في دينه، وبعد رحيله أدركنا أنه لن يبعث فينا نبي مرة أخرى، عشيرتي! أقول هذا لمصلحتكم وبغض النظر عن العذاب الدنيوي فكروا في آخرتكم، وإذا كان هؤلاء الأنبياء المبعوثون من عند الله حقا فبالله عليكم فكروا في عاقبتكم يوم القيامة، أريد لكم الكرامة والنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة والسبيل الوحيد لذلك هو الإيمان بالله فلا تشركوا به شيئا أدعوكم للإيمان بالله ولكنكم تدعونني للإيمان بآلهة مجهولين لا أعرف عنهم شيئا قلت لكم الحقيقة اليوم، من الأفضل أن تؤمنوا بها، وإلا ستندمون في يوم من الأيام، أخواتي وإخواني! أفوض أمري إلى الله وبداية من اليوم افعلوا ما شئتم يراقب خالقنا أعمالنا وسنؤجر على ما نفعل".

رجع فرعون عن فكرة قتل موسى وهارون والسحرة الذين آمنوا بالله عندما وجد رجاله المقربين متأثرين برسالة موسى واتبع أسلوبًا ناعمًا خشية أن ينقض أحد من أعدائه على منصبه، مستغلاً الاضطرابات بين بني إسرائيل وسيطرة موسى ولذلك قال لموسى أنه لا يستطيع أن يؤمن به كرسول من عند الله بل أنه لا يؤمن بالله من الأساس ولذلك لن يسمح له بأخذ بني إسرائيل خارج مصر، وإذا حاولوا فعل ذلك ستكون نهايتهم سيئة".

شعر موسى بحزن شديد عندما سمع كلام فرعون وقال له: "سوف يُنزل الله عليك عذابه لعدم إيمانك به، وخلال أيام ستعرف عقوبة ظلمك لبني إسرائيل".

رفض فرعون أن يعتق بني إسرائيل أو أن يرسلهم مع موسى وأيده رجاله في قراره هذا.

وبدأت ظهور آيات الجبار القهار فتحول لون مياه النيل إلى اللون الأحمر، وماتت الأسماك وغيرها من الحيوانات المائية وطافت على وجه الماء، وخرجت الضفادع من المياه لتنتشر في اليابسة وحولوا حياة آل فرعون إلى جحيم، اتسخت ملابس وبيوت آل فرعون لقلة المياه النظيفة، فأنتشر القمل ودمر الجراد القادم من صحراء أفريقيا المحاصيل المزروعة في أراضي مصر، وعندما خلصتهم الرياح الوافدة من الغرب منها أحاطت السحب الكثيفة سماء مصر واشتد الرعد والبرق، سيطر الخوف على قلوب آل فرعون وجاءت الأمطار الثلجية لتقضي على بقية المحاصيل، وعندما تحسن الطقس انتشر الطاعون ومات عدد كبير من البشر والحيوان، كان فرعون يعلم جيدًا أن كل هذا نتيجة عصيانه، وتيقن آل فرعون ذلك أيضًا، ولكن سبق ورفض فرعون أن يأذن لبني إسرائيل بالهجرة، وادعى أمام الجميع بأنه قادر على مواجهة الآفات الأرضية والسماوية، وأنه لن يستسلم أمام أي قوة مهما كانت خارقة، تحجر قلب فرعون أمام كل مصيبة أرضية وزاد كفره وعصيانه مع كل بلاء سماوي، ذلك الذي أدعى أنه يواجه الله ويغزو الأجرام الفلكية عجز أمام مخلوقات صغيرة مثل القمل والبق والناموس والضفادع والجراثيم المسببة للطاعون ورغم ذلك لم يتراجع خطوة، كان قد ضاق الحال بآل فرعون بسبب المصائب والابتلاءات

المتكررة وطالبوا بني إسرائيل الهروب من بلدهم حتى يبتعد عنهم نحسهم لم يعلم هؤلاء أن هذا النحس إنما نتيجة عصيانهم لله.

وذات ليلة عندما ملأت الغيوم سماء وادي النيل خرجت قبائل بني إسرائيل من مدينة فرعون في صورة مجموعات ولم يعترضهم أحد من آل فرعون بسبب خوفهم من الابتلاءات التي نزلت عليهم واحدة تلو الأخرى، لم يخبر أحد فرعون ورجاله عن هجرة العبيد "بني إسرائيل" أو عن عزمهم على أن لا يعيشوا حياة الذل والعبودية مرة أخرى.

وفي اليوم التالي علم فرعون بهجرة بني إسرائيل فاستدعى رجاله لاستشارتهم ورأت الأكثرية أن لا يتم اعتراض هؤلاء العبرانيين فقرر فرعون أن يتغاضى عن ذلك.

اتجهت قبائل البدو من بني إسرائيل لصحراء مصر الشرقية تحت قيادة موسى التي كانت خالية تمامًا من السكان، وبعد رحلة طويلة من السفر وصلوا إلى شاطئ الخليج الشمالي للبحر الأحمر والذي يقع غرب شبه جزيرة سيناء ونصبوا خيامهم هناك.

استقرت الأجواء في مصر بعد هجرة بني إسرائيل ورجعت مياه النيل إلى حالتها الأصلية وتوقف وباء الطاعون، واندثر القمل والبق والسوس والضفادع وبدأ آل فرعون العيش في سلام.

خلت مصر من العبيد مما أجبر آل فرعون على العمل، وشعر هؤلاء الذين اعتادوا على حياة الرفاهية والراحة بضرورة وجود العبيد بصورة ملحة، وندموا أنهم أذنوا لبني إسرائيل الخروج من البلاد.

أعد فرعون جيشًا كبيرًا من أفراد شعبه وتعقب بني إسرائيل حتى يعيد الذين استغلوا بعض الظواهر الطبيعية التي وقعت بالصدفة ليفلتوا من بين أيديهم. علم بنو إسرائيل بقدومهم عندما اقترب جيش آل فرعون منهم، وشعروا باضطراب شديد، فالبحر الأحمر متلاطم الأمواج من ناحية، ومن ناحية أخرى بحر من أجناد فرعون الذين عزموا على أسرهم مرة أخرى.

لم يكن لدى بدو بني إسرائيل مراكب ليركبوها لينقذوا حياتهم ولم تكن لديهم أسلحة ليواجهوا بها أسيادهم ليتمكنوا من الحفاظ على الحرية التي حصلوا عليها للتو.كان موسى وقومه ينظرون لأمواج البحر الأحمر وتمنوا أن تصبح ملجأ لهم حتى ينقذوا أنفسهم من قبضة آل فرعون الظالمين.وعلت الرياح المليئة بالأتربة السماء من ناحية الغرب، وتيقن بنوإسرائيل أن جيش آل فرعون اقترب منهم وأنهم سيؤسرون وسيعودون مرة أخرى إلى مصر عبيدًا.

ألقى موسى نظرة على البحر المتلاطم الأمواج وضرب بعصاه عليه، فارتفعت أمواج المياه مثل الجبال كأنها أخرجت رؤوسها من أجسادها، اهتزت الأرض هزة خفيفة واتجهت الأمواج الشمالية إلى الشمال والجنوبية إلى الجنوب، وارتفعت أرض البحر، وفي وسط دهشة الموجودين شُق طريق في وسط البحر، نزل بنو إسرائيل وراء موسى على هذه اليابسة التي ظهرت في وسط البحر ومشوا على الطريق الذي شق فيه، لم يكد بنو إسرائيل يصلون إلى منتصف الطريق حتى وصل فرعون وجيشه إلى شاطئ البحر واندهشوا برؤية معجزة القدرة الإلهية ظل جيش فرعون ينظر إلى هذا المشهد العجيب وسار هو وجنوده على نفس الطريق الذي

شق في صدر البحر لينجي العبيد العازمين الناشدين للحرية. وصل آخر فرد من بني إسرائيل إلى الساحل الشرقي للبحر الأحمر وفي الطرف الآخر كان قد نزل آخر جندي من آل فرعون إلى هذا الطريق، وقف بنو إسرائيل على الشاطئ ليشاهدوا هجوم جيش فرعون حتى اهتزت الأرض مرة أخرى، وتلاحمت تلك الأمواج التي وقفت مثل الجدران على الجانبين، والتهمت أمواج البحر الأحمر فرعون، وجنوده، وفرسانه، وعرباته وهتفت السماء هكذا تكون نهاية الظالمين

وجد سكان مصر فيما بعد جثة هذا الفرعون على ساحل البحر وطبقًا للعادات تم دفنها داخل هرم، واليوم التالي تعطي درسًا لفراعنة العصر الحاضر...

الخاتمة

الأدب وسيلة تقارب بين الشعوب وخصوصًا عندما يستهل المعاني الإنسانية والصفات المشتركة بين الشعوب، فنرى في ذلك كله وسيلة من وسائل التعايش و التقارب وتكون رصيدًا مهمًا و ضروريًا يسهم في زيادة التقارب الإنساني ويكشف عن أوجه التلاقي بين الحضارة الإنسانية بعيدًا عن الصراعات والمشاكل التي يعانى منها العالم الراهن.

وعندما يتناول الأدباء الأردويون تيمات من صميم التاريخ المصري أو وقائع وأحداث مصرية خالصة، فإن ذلك يكشف عن أهمية البيئة المصرية والواقع المصري لتصبح هذه الأهمية وهذا الواقع منجزًا وتراثًا إنسانيًا خالدًا يتخطى حدود الزمان المكان.

ونظرًا لما بين اللغة الأردية والعربية من ترابط على مستوى الشكل والمضمون لأن العلاقة بين اللغتين علاقة روحية وتاريخية وكذلك لما للغةالعربية من سيطرة نفسية وشعورية عليها لأنها لغة القرآن الكريم ولأن الأغلبية الذين يتحدثون الاردية يدينون بالدين الإسلامي.

لقد عنيتُ ببلورة الأفكار الرئيسة لهذه القصص وكان أهمها أنى وجدتُ الهم الوجدانيمشتركًا بين الأدبين في هذه القصص كلها،إذتسلتهم أحداثها من وقائع وأحداث دارت على أرض مصر والأمة العربية، فبرزت القضية الفلسطينية في قصة "عار الحرم" وشرحت المعالجة الفنية للكاتب حيث ألقى باللوم على العالم العربي والإسلامي.كما كان لأدباءالأردية مواقفهم مما تعرضت له الامة العربية من أحداث مثل العدوان الثلاثي على

مصر وأعلنوا مواقفهم الصريحة من هذا العدوان و رأوا أنه عدوان على بلد عربي شقيق "مصر".

وكانت القصص التي اكتفيت بترجمتها تتناول فضاءً تاريخيًا ودينيًا واجتماعيًا بسيطًا مثل قصة"غرق آل فرعون" التي تتناول قصة موسى مع فرعون في قالب قصصي أنيق ومتناسق، أما قصة "بطاقة تعارف فارغة" فتصور قصة حب بسيطة تعكس إيمان الكاتب بأن المشاعر الإنسانية لا تعرف الحواجز اللغوية والجنسية أو العرقية وإنما المشاعر الإنسانية كلها واحدة، وقد تختلف الثقافات والحضارات ولكن تجتمع كلها تحت مظلة الإنسانية.

لقد قصدت من هذا البحث التعرف على صورة "مصر" في الأدب الأردي وأهم الملامح والاتجاهات الموضوعية والفكرية لهذه القصص.

وأرجو أن أكون قد وفقتُ فيما ذهبت إليه.....

ثبت المصادر والمراجع

أولاً: المراجع العربية:

١- إبراهيم البقاعي، نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، جـ١.

٢- إبراهيم محمد إبراهيم(د)، قصص من الهند وباكستان، القاهرة، ١٩٩٧م.

٣- تامر عماد علي عثمان، رواية "راجهگده" (النسر) (دراسة تحليلية نقدية) رسالة ماجستير، قسم اللغات الشرقية، كلية الآداب، جامعة المنصورة.

٤- جابر قميحة،التراث الإنساني فى شعر أمل دنقل،القاهرة،دار هجر،١٩٨٧م.

٥- سمية الشوبكة، التراث والبناء الفني في أعمال محمد جبريل، الهيئة العامة لقصور الثقافة،ط١، ٢٠٠٥م.

٦- عبد الفتاح عثمان (الدكتور)، بناء الرواية، مكتبة الشباب، القاهرة،١٩٨٢م.

٧- غاستون باشلار،جماليات المكان،ترجمة وتحقيق:غالب هلسا،ط١.

٨- شكري عزيز الماضي،فنون النثر العربي الحديث، جامعة القدس المفتوحة،عمان، ١٩٩٦ء.

٩- محمد أيوب، الحوار المتمدن، عدد ١٠٦٠، ٢٧/ ١٢/ ٢٠٠٤.

١٠- مراد عبدالرحمن مبروك،العناصر التراثية في الرواية العربية في مصر،دراسة نقدية، دار المعرف، ط١،القاهرة، ١٩٨٦م.

١١- النساج، تطور القصة القصيرة فى مصر ص ٣٥ هامش ٨،٩/ مكتبة غريب

١٢- وفاء الهزلول،البناء الفني في القصة القصية عند محمد الشقحاء، جامعة الملك سعود، الرياض،ط١، ٢٠١٤م.

ثانيًا: المراجع الأردية:

١٣-اقبال، ضرب كليم، كليات اقبال، شيخ غلام على اينڈسنز پبلشرز، لاہور، ١٩٧٧ء.

١٤-انتظار حسين، شہرِافسوس،شرمالحرم،سنگ ميل پبلى كيشنز، لاہور،٢٠١١ء.

١٥-انور سديد (د)، اردو ادب كى مختصر ترين تاريخ، مقتدرہقوميزبان،اسلامآباد،١٩٩٠ء.

١٦-جيلانىكامران، ادب كےمخفىاشارے،ابلاغپبلشرز، ٢٠٠٢ء.

١٧- سلام سنديلوى، ادب كاتنقيدىكا مطالعہ، مكتبۃ ميرىلائبريرى، لاہور،١٩٨٩ء.

١٨- سليم انور، لكيريں ، حافظ عابد پرنٹرز، اردو بازار ، كراچى، ٢٠١٠ء.

١٩-صغير افراہيم(پروفيسر)،اردوكاافسانوىادب (تحقيقى اور تنقيدى مضامين) ،ايجو كيشنلبكہاوس، علىگڑھ،٢٠١٠ء.

٢٠- عبادتبريلوى،افسانہ اور افسانے كى تنقيد، ادارۂ ادب وتنقيد ، لاہور١٩٨٦ء.

الفهرس

تمهيد:

القسم الأول: الدراسة

أولاً: قصة "عار الحرم" (شرم الحرم)

(دراسة فنية وأدبية)

الأسلوب الفني:

التوظيف المكاني:

التوظيف القرآني:

التوظيف القصصي:

ثانيًا: قصة "حكاية أمة"

حكاية أمة

(١) عنصر الزمان

(٢) عنصر المكان

(٣) الشخصيات

الجزء الثاني: الترجمة

بطاقة تعارف فارغة

حكاية أُمة

غرق آل فرعون

الخاتمة

ثبت المصادر والمراجع

الفهرس